رد دعـــاوى وأباطـــيل عـن حـــادثة الإســـــراء والمـــعراج

إعداد: محـــمد أحـــمد صـــبرة

حقوق الطبع والنشر للجميع ولكل دور النشر

الطبعة الأولى الإلكترونية

للتراسل مع المؤلف:

https://www.facebook.com/m.s.tartus

m.s.tartus@gmail.com

WhatsApp/phone: ٠٠٩٦٣٩٨٨٢٨٩٨٩٢

مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام: {وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين} [الأنعام :٧٥]، وقال سبحانه عن محمد عليه الصلاة والسلام : {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا}، وقال في سورة النجم : {ولقد رآه نزلة أخرى *عند سدرة المنتهى *عندها جنة المأوى *... * لقد رأى من آيات ربه الكبرى}[النجم:١٣-١٨] ، تعلّل الآيات أن الله يريد أن يُري عبده بعض آياته وكونه الغيبي وأنه شهد بالفعل هذه الآيات الكبرى منّة من الله ومنحة!، فقد أتاح تعالى لعبده محمد بن عبدالله فرصة أن يرى العوالم الكبرى فصغرت بذلك الأرض ومن فيها عنده، فكيف بمكة وما بها من رجال وعتاد، وماذا تكون مكة ومن بها بالقياس إلى هذا العالم الفسيح.

بدأت الرحلة من مكة التي فضلها الله على سائر بقاع الأرض وجعلها حرماً آمناً وجعل فيها بيته الذي جعله قياماً للناس ومثابة وقبلة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وجعلَ حجهُ أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي التي قال عنها خاتم أنبيائه :«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت»([1]) وقال عنها: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»([2]) ، وقال: «إن الله حرم هذا البيت يوم خلق السموات والأرض وصاغه حين صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام»([3]) ،وقال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»([4]).

ولم تكن حادثة الإسراء والمعراج معجزة قاهرة أريد منها قهر الناس على الاعتقاد بصدق نبوة الرسول كما كان يحدث للأنبياء السابقين، ذلك أن القرآن الكريم سلك أسلوبا آخر في الإقناع يقوم على التأمل والمشاهدة والتجريب والحجة والبرهان، وإلا لكانت حادثة الإسراء والمعراج قد جاءت في الأيام الأولى للدعوة حيث ضيق المشركون الخناق عليها وطاردوا أتباعها في كل مكان «فقد تكفل القرآن الكريم بإقناع أولي النهي من أول يوم، وجاءت في طريق الرسول ضربا من التكريم لشخصه، والإيناس له، غير معطلة للمنهج العقلي الذي اشترعه القرآن.

وقد اقترح المشركون على النبي يوما أن يرقى في السماء، فجاء الجواب من عند الله {قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا}؟ [الاسراء:٩٣] فلما رقي في السماء بعدئذ، لم يذكر قط أن ذلك رد على التحدي أو إجابة على الاقتراح السابق» على العكس وجدنا الروايات تحدثنا عن أن صعوبة تصديق حادث غيبي كهذا دفع المشركين إلى مزيد من التحدي والاستهتار وردّ نفرا من المسلمين من ضعاف الإيمان إلى كفرهم!! ومهما يكن من أمر فإن حادث التكريم هذا «ترك ثماره في نفس الرسول فاستراح إلى حمد الخالق وقل اكتراثه لذم الهمل من الجاحدين والجاهلين، ثم نشط إلى متابعة الدعوة، موقنا أن كل يوم يمر بها هو خطوة إلى النصر القريب» ([5]).

---

[1]- صححه الالباني وأخرجه الترمذي برقم(٣٩٢٥) وسنن ابن ماجة برقم(٣١٠٨) وأحمد برقم(١٨٧١٥).
[2]- صححه الالباني وأخرجه الترمذي برقم(٣٩٢٦) وصحيح ابن حبان برقم (٣٧٠٦).
[3]- معجم الطبراني الأوسط رقم(٣٨٦٦) وحلية الاولياء وطبقات الاصفياء (١٩/٤).
[4]-صحيح البخاري برقم(١٨٣٤) وصحيح مسلم رقم(١٣٥٣).
[5]-دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل ، دار النفائس، ط٢ ١٤٢٥ ص: ٩٧.

وأما بالنسبة لمنهج هذا الكتيّب فقبل البدء بالرد على الشبهات المثارة على هذه المعجزة النّبوية، نعرض القصة عن الصحيحين، ثم نثني بمجموعة من النقاط الأساسية عن هذه الرحلة، على هامش الإسراء والمعراج لتوضيحها وشرح ملابساتها وإشاراتها الهامة!، ثم نبدأ بعرض الشبهات الواردة على الأحاديث التي يشغبون بها، والجمع بينها للخرج بتصور واضح عن الموضوع، ثم نتبعها بالرد على بعض المشاغبات والدعاوى التي افتراها البعض قصدا والبعض بالتبع لهم والتأثر بهم دون البحث والدراسة والتمحيص.

فهرس الكتيّب

أولا: الحادثة كما هي في كتب الصحاح..... ص:٤

ثانيا: النقاط العشرون على حادثة وأحاديث الإسراء والمعراج ص:٦

ثالثا: الرد التفصيلي على المطاعن التي وجهت لأحاديث الإسراء والمعراج ص:٢٣

رابعا: الطعن في معجزة الإسراء والمعراج بالتشكيك في صحة ما وقع فيها من أحداث ص:٤٩

خامسا: التشكيك في ثبوت معجزة الإسراء والمعراج..... ص:٥٦

سادسا: الزعم أن معجزة الإسراء والمعراج خرافة مستوحاة من التراث الفارسي والأوربي..... ص:٦٣

سابعا: دعوى أن أحاديث "النيل والفرات من الجنة " تخالف الواقع ص:٦٧

ثامنا: أن موسى عليه السلام كان وصيا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.....ص:٧٢

تاسعا: الزعم أن طلب النبي تخفيف عدد الصلوات عن المسلمين يثبت عدم إدراكه لمقاصد الصلاة... **ص:٧٥**

أولا: الحادثة كما هي في كتب الصحاح

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة واللفظ للبخاري([1])، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حدّثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال: في الحجر ([2]) مضطجعا إذ أتاني آت، فقدّ (أي قطع) قال أبي قتادة: وسمعته يقول: فشقّ ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود "صاحب أنس أحد الرواة" : ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى ثنته "ما بين الترقوتين إلى ما تحت السرة"، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة ، فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض. فقال له الجارود: هو البُراق (سرعته في سيره مثل سرعة البرق في لمعانه) يا أبا حمزة "كنية أنس"؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه "منتهى بصره"، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح (ولله ملائكة موكلون بكل ما خلق، وله الحكمة البالغة)، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ "أي أرسل إليه للعروج إلى السماء" قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح» ، فلما خلصت فإذا فيها ادم عليه الصلاة والسلام([3])، فقال: هذا أبوك ادم، فسلّم عليه، فسلّمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحي وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الخالة([4]) ، قال: هذا يحي وعيسى فسلّم عليهما، فسلّمت، فردا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ،ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا أخوك يوسف فسلّم عليه، فسلّمت عليه فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح ،ثم صعد بي إلى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلّم عليه، فسلّمت عليه فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلّم عليه، فسلّمت عليه فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلّم عليه، فسلّمت عليه، فردّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما([5]) بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلون من أمتي ،ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلّم عليه، قال: فسلّمت عليه، فرد السلام

---

[1]- صحيح البخاري، باب المعراج، ج ٥ ص ٦٦؛ صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢ ص ٢٢٣- ٢٢٥.

[2]- الحطيم: هو الحجر على الصحيح، والراوي لما لم يتأكد من اللفظ الذي سمعه ذكرهما على صيغة الشك، وهي أمانة في النقل من المحدّثين مشكورة.

[3]-إما أن يكون بعث من قبره استعدادا للقادم الكريم في هذه الليلة، أو تكون روحه تمثلت في جسده من غير بعث، ولعله الأولى والأقرب، وكذلك يقال في جميع الأنبياء الذين تشرفوا بلقائه هذه الليلة ما عدا عيسى عليه السلام.

[4]-وهذا على أن مريم وإيشاع أم يحيى بن زكريا أختان، وقيل: إن إيشاع خالة مريم، فيكون في العبارة تسامح، ولا يزال العرف يعتبر خالة الأم خالة للابن.

[5]- أراد صغر سنه لمن كان أكبر منه سنا من الأنبياء، وإذا قسنا عمر النبي بأعمار نوح، وإبراهيم، وموسى وجدناه أقل منهم بكثير، ومع هذا فقد أعطاه الله على صغر سنه، وقصر مدته ما لم يعط أحدا ممن هو أسن منه، وأطول زمنا، وتبعه على دينه الحق من غير تحريف ولا تبديل ما لم يتبع أحدا من الأنبياء.

ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ،ثم رفعت إلى سدرة المنتهى([1]) ، فإذا نبقها مثل قلال هجر([2]) ، وإذا ورقها كآذان الفيلة (يعني في الشكل والكبر) ، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة (الكوثر والسلسبيل) ، وأما الظاهران فالنيل والفرات([3])، ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال (جبريل) : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك([4])، ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قال بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلّم، قال: فلما جاوزت ناداني مناد([5]): أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» .

وقد تكفّلت بعض روايات الإمام مسلم في صحيحه([6]) ببيان مجيء النبي بيت المقدس ، ودخوله به، وصلاته فيه ركعتين، وعرض جبريل عليه بعد خروجه إناءين: إناء من خمر، وإناء من لبن، فاختار اللبن ،وأن الله تبارك وتعالى قال: «يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر- يعني حسنات- فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة» .

وكذلك تكفّلت بعض الكتاب الحديثية الأخرى ببيان ما رآه النبي في مسراه من مكة إلى بيت المقدس، حيث ضربت له الأمثال لبعض الفضائل والرذائل، وصلاته صلّى الله عليه وسلّم ركعتين بطور سيناء، وببيت لحم وبالمدينة، وصلاته بالأنبياء في بيت المقدس، وثناء الأنبياء على ربّهم، وثناء النبي على ربه، وقد ذكر الكثير من هذه الروايات الدالة على ذلك ابن كثير في تفسيره([7])، والحافظ ابن حجر في «الفتح» ([8]) ، وقد ذكرت كل هذا وغيره كرؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم لربه، وأهي بعيني بصره؟ أم بعيني قلبه وبصيرته؟! إلى غير ذلك من المباحث المحرّرة الشيقة في كتابي «الإسراء والمعراج» فليرجع إليه من يشاء التزيد من روايات الإسراء والمعراج.

وقد رويت روايات أخرى في الإسراء والمعراج حصلت فيها بعض التزيدات، وأطلق بعض رواتها لأنفسهم فيها عنان الخيال، وألحق فيها من هنا وهناك بعض القصص، حتى غدا فيها تخليط وتزيدات كثيرة، وليس فيها من الحقيقة إلا شيء

---

[1]- سميت بذلك لأنها ينتهي إليها علم كل نبي مرسل، وكل ملك مقرّب، ولم يجاوزها أحد إلا نبينا صلّى الله عليه وسلّم

[2]- جمع قلة وهي الجرة، والنبق الثمر يعني أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت قلال هجر معروفة عند المخاطبين، وهجر: بفتح الهاء والجيم: بلد بقرب المدينة.

[3]- أي مثالهما أو عنصرهما وإلا فهما ينبعان من الأرض، وقد فهم النبي من تمثيلهما له أن دينه سيبلغ هذين النهرين المشهورين وما وراءهما، وهذا ما كان، وبهذا التفسير يظهر لك أن الحديث لا يخالف المشاهدة كما أرجف المرجفون.

[4]- عبر عن اللبن بالفطرة؛ لأنه أول ما يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، وهو الغذاء الذي لم يكن يصنعه صانع غير الله، والغذاء الكامل المستوفي للعناصر التي يحتاج إليها الجسم في بنائه ونموه، مع كونه طيبا سائغا للشاربين، وقد تكرر هذا العرض مرتين، مرة بعد الصلاة في بيت المقدس كما في صحيح مسلم ومرة في السماء كما في هذا الحديث المتفق عليه.

[5]- المنادي هو الله سبحانه وتعالى إذ هذا الكلام لا يصدر إلا منه سبحانه، وهذا من أقوى الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى كلّم نبيه ليلة المعراج بغير وساطة.

[6]- صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢ ص ٢٠٩- ٢١٥.

[7]- تفسير ابن كثير (٦/٣-٤٢) دار الكتب العلمية بيروت ١٩١٩ وراجع تفسير البغوي (١٠٤/٣ وما بعدها) دار إحياء التراث العربي، وراجع والقرطبي والرازي.

[8]- فتح الباري، ج ٧ ص ١٥٩- ١٧٢.

يسير، وذلك مثل الحديث الطويل الذي رواه ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة، وهي رواية مطوّلة جدا وفيها غرابة، وقد ذكرها ابن كثير في تفسيره([1])، وأشار إلى أنها رويت أيضا من طريق أبي جعفر الرازي ثم قال ابن كثير: «وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة: الرازي يهم في الحديث كثيرا، وقد ضعّفه غيره أيضا، ووثّقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ، ففيما تفرّد به نظر، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة، ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المنام برواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري، ويشبه أن يكون مجموعا من أحاديث شتى أو مناما، أو قصة أخرى غير الإسراء»([2]).

ثانيا: النقاط العشرون على حادثة وأحاديث الإسراء والمعراج

الأولى : روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة وتلقّاها عنهم الرواة العدول الضابطون، وخرّجها أئمة الحديث والتفسير بالمأثور في كتبهم، كالأئمة: البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، والبيهقي، وابن جرير الطبري، وغيرهم، وذكرها الإمامان محمد بن إسحاق، وعبد الملك بن هشام في سيرتيهما، قال ابن كثير : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وشدّاد بن أوس، وأبيّ بن كعب، وعبد الرحمن بن قرظ، وأبي حبة ، وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانىء بنت أبي طالب، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع من المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة، والملحدون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» ([3]).

الثانية: القول بأن مراجعة موسى لمحمد صلى الله عليه وسلم يقتضي بأن تكون هذه الأحاديث من الإسرائيليات فهذا مردود، لا يتفق مع المنطق والعقل السليم، "وعلى منطق هذا الطاعن تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث علمي، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني إسرائيل، لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى من دسهم، أما والحديث مروي عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم، ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيدا كل البعد، إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) الصحابة الذين روي عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمسة وعشرين صحابيا، واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة، ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، ووصفه بالإفادة والجودة، فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال في هذا؟! وقد خرج حديث الإسراء والمعراج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة، وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في تفسيره، فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين، ولم نر فيما نعلم عن أ حد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ما تخيله هؤلاء؟!"([4]).

---

[1]-تفسير ابن كثير، ج ٥ ص ١٣١- ١٣٧.

[2]-السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار القلم – دمشق، ط٨- ١٤٢٧ هـ (١/ ٤٠٤-٤٢٩).

[3]-تفسير ابن كثير والبغوي، ج ٥ ص ٦٦، ط المنار

[4]-دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٨٦، ٨٧.

ليس في الحديث ما يوحي بدس: إن المتتبع لأحاديث الإسراء والمعراج بكل رواياتها يتضح له جليا أنها لا يمكن أن تكون مدسوسة؛ فليس في أي إسناد من أسانيدها أحد من أهل الكتاب، ولا ممن يروي عن أهل الكتاب. إن أعداء السنة يلقون بالكلام دون دراسة أو تحديد، فليقولوا لنا: من الذي دس هذا الحديث؟ إنهم لا يستطيعون ذلك، فكل رجال إسناده إنما هم ثقات، أي مسلمون صالحون أذكياء، صلاحهم يمنعهم من الكذب، وذكاؤهم يبعدهم عن الخطأ، وقد روي الحديث من أكثر من طريق، وكلها متعاضدة يقوي بعضها بعضا، فمن أين يأتي الدس؟ إن أحاديث الإسراء والمعراج ثابتة صحيحة، جاءت من طرق كثيرة، بلغت حد التواتر، ومن هنا فليس لعاقل أن يجحدها، لقد رواها عن رسول الله خمسة وأربعون صحابيا([1])، ورواها عنهم كثرة كثيرة من التابعين، وعنهم أتباع التابعين بأكثر وأكثر، ومن هنا فهي مما لا يمكن التشكيك فيه، ثم إن الإسراء والمعراج أصلهما ثابت بالقرآن الكريم، وهذا يفيد ثبوتهما أكثر وأكثر، وعليه فليس لمنصف أن يشك في هذه الأحاديث، إن السنة النبوية تهيأ لها من أسباب الحفظ والسلامة مما يجعلها حصينة ضد أي تزييف، وأقوى من أن يزاد فيها حرف أو يحذف منها حرف([2]).

الثالثة: الذي عليه أكثر المحققين من العلماء أن الحادثة كانت قبل الهجرة بسنة وقيل بسنتين وكانت بشهر ربيع الأول وقيل في ربيع الاخر والقول الأضعف أنها في رجب وهو المشهور بين الناس اليوم!! ، والأصح في شهر ربيع الأول في ليلة الثاني عشر منه أو السابع عشر منه ، وقد ذكر ابن كثير أثرا عن جابر وابن عباس يشهد لذلك، قالا: «ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر» ([3])

الرابعة: في صبيحة اليوم التالي للرحلة السماوية غدا الرسول على قريش، فأخبرهم الخبر، فقال أكثر الناس هذا والله الأمر البيّن (المفضوح)! والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهرا مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟ وذهب الناس إلى أبي بكر، رفيق الرسول وأول رجل آمن بدعوته، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر، في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة؟ فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلى ها هو ذاك في المسجد يحدّث به الناس. فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟ فو الله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه! فهذا أبعد مما تعجبون منه، وأقبل أبو بكر على الرسول وسأله: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال أبو بكر: يا نبي الله فصفه لي، فإني قد جئته، فقال رسول الله «فرفع لي أي بيت المقدس حتى نظرت إليه» ثم راح يصفه لأبي بكر وأبو بكر يقول: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى الرسول من وصفه، التفت إلى صاحبه وقال: أنت يا أبا بكر الصدّيق ([4])!!

الخامسة : المعراج كان في اليقظة بالروح والجسد وليس بالروح فقط أما ما نسب لعائشة ومعاوية (أنه بالروح) فهو كذب ومختلق ولا صحة لهذا الكلام ، ذكر المعراج في قوله تعالى : {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى (١٤) عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى ... لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى (١٨)} .(النجم) قال ابن مسعود والسيدة عائشة :أن المرئي هو جبريل ، رآه رسول الله على هيئته التي خلق عليها، ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين: الأولى وهو نازل من غار

---

[1]-انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، الكتاني، دار الكتب السلفية، مصر، ط٢، د. ت، (١/ ٢٠٩).

[2]-دفع الشبهات عن السنة والرسول، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١٣: ١١٧.

[3]-السيرة لأبي شهبة (١ /٤١٨) ، مرجع سابق.

[4]-السيرة النبوية لابن هشام، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي بمصر، ط٢/١٩٥٥ م (١/٣٩٩)

حراء، والثانية ليلة المعراج ،.. البعض صرف الرؤيا على أنها في الأرض بأقوال موضوعة لكن ما يزيل غباءهم أن الرؤيا لجبريل كانت عند جنة المأوى وجنة المأوى لم ترد في القرآن إلا أنها خارج في هذا العالم الأرضي .!! ولكنه التغابي

والذي يدل عليه قوله تعالى في مفتتح سورة الإسراء {بعبده}،إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد ، وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها ..فالعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولأنه قال: {سبحان} والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناما لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه. ويؤيده قوله تعالى: {ما زاغ البصر وما طغى} لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وقوله : {لنريه من آياتنا} ولو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة للناس ولا سببا لتكذيب قريش ؛ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار، لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح. فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب ، وركوبه على البراق يدل على أن الإسراء بجسمه ؛ لأن الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف ([1]).

السادسة: ومنهم من قال أنها كانت رؤيا منام اعتمادا على:{وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ...} [الإسراء: ٦٠]، وقالوا الرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية.!! وليس أدل على ردّ استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها :«هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به، والشجرة الملعونة شجرة الزقّوم» رواه البخاري ، والترمذي، والنسائي ومراد ابن عباس: برؤيا العين جميع ما عاينه صلّى الله عليه وسلّم ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية ، وابن عباس هو حبر الأمة، وترجمان القرآن، ومن أعلم الناس بالعربية، وكان إذا سئل عن لفظ من القران ذكر له شاهدا من كلام العرب، فكلامه حجة في هذا، والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا، ومن شواهد ذلك من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعي يصف صائدا:

((وكبّر للرؤيا وهشّ فؤاده ... وبشّر قلبا كان جما بلابله))

وبعض المفسرين يرى أن الآية نزلت عام الحديبية بسبب رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه دخل المسجد الحرام ، ولو كان الإسراء والمعراج في المنام أو بالروح لم يكن فيهما شيء يستعظم، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول والتعجب مما قال، ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان إذ كثير من الناس يرون في منامهم مثل ذلك، فيرى الرائي أنه ذهب إلى أقصى المعمورة ، أو صعد إلى السماء، فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم إلى تكذيب النبي عقب إخباره لهم من أظهر الأدلة على أنهم فهموا من إخبار النبي أنهما كانا في اليقظة لا في المنام.([2])

السابعة: بعض الأنبياء المذكورين بالكتاب المقدس لهم عروج للسماء كإيليا والتفصيل في الرد على الشبهات أما نبيّنا فقد ذكر معراجه في نبوءات الكتاب المقدس : "ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن البشر (النبي المنتظر) آتيًا على سحاب السماء، فبلغ إلى القديم الأيام (الله تعالى) وقُرِّب إلى أمامه، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه (يعظمونه)، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول ملكه ولا ينقرض" (التوراة– دانيال ٧: ١٣–١٤)، "ورأيت كيف صعد "المسيا" (وهو نبي آخر الزمان عند أهل الكتاب) إلى السماء السابعة، فيما كل الصديقين والملائكة يمجدونه حينئذٍ رأيته يجلس عن يمين المسجد الأعظم"، للتوسع راجع الرابط التالي([3])، أما ما ذكر من صعود للسماء لزرادشتي

---

[1]–للتفاصيل راجع: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٥ م (٣/٣–١١)

[2]– المرجع السابق.

[3]–تفاصيل نبوءة العروج للسماء بالرابط : http://www.quran-m.com/quran/article/2561/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D8%B5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-

تمّ ذكره في القرن(٩-١٠) الميلادي تشبّها بالمسلمين حين كان الصراع الفكري والثقافي على أوجه في ذلك الوقت بين المجوسية والإسلام، وهو مختلف كليا عن رحلة النبي الجسدية فقد تم ذلك في نومه بروحه وجسده ملقى ورأى بعض الملائكة والصالحين في الجحيم، وتم ذكر تفاصيل هذا الموضوع في بحث خاص قادم

الثامنة: ويجب التنبيه على وهم وخطأ في رواية (شريك بن عبد الله عن أنس)، وقد خالف فيه شريك أصحاب أنس كلهم في النقل عنه ففي إسناده ومتنه بالتقديم والتأخير والزيادة المنكرة، أن الحادثة كانت مناما وأشد أوهامه وأغلاطه قوله: سمعت أنس بن مالك يقول: «ليلة أسري برسول الله من مسجد الكعبة أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه !!»، والإمام البخاري قد أخرج في صحيحه الرواية التي اتفق عليها الرواة عن أنس- ما عدا شريك- في عدة مواضع من كتابه، وهي الرواية الصحيحة، وذكر أيضا الرواية التي وقع فيها الغلط من شريك، ولعل ذلك لينبهنا إلى ما فيها من غلط، وللإمام البخاري في سوق الروايات والمتون المكررة شفوف نظر، ومقاصد دقيقة لا يقف عليها إلا من أطال النظر في هذا الكتاب الجليل ، كما نبه على غلط شريك بن عبد الله في روايته الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه، فقد قال بعد ذكر سند رواية شريك: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدّم فيه شيئا وأخّر وزاد ونقص» وتفاصيل ذلك في البحث التالي: الرد التفصيلي على تناقض أحاديث الإسراء والمعراج ([1])

التاسعة: تشير حادثة الإسراء للإلغاء والطي الأبدي لصفحة بني إسرائيل، فقد ظلت النبوات دهورا طويلة وهي وقف على بني إسرائيل، وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض وقصبة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار، فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالا بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، وكان الإسراء والمعراج إعلانا عالميا بالإلغاء الأبدي والطي السرمدي لصفحة بني إسرائيل من التفضيل والاصطفاء.

لقد أتقنوا صناعة الرياء وملق الأقوياء والنفاق، وأن يكون للقول ميدان وللعمل ميدان، و أشاعوا النفاق في الأرض حتى توهم الناس أن من لا ينافق ليس بكيس، ومن لا يتملق لم يؤت الحكمة، ومن لم يداهن فهو أحمق.. نشروا النفاق في الأرض كلها وبثوا له الدعاية بأسماء مختلفة، فمرة بأنه الحكمة، ومرة بأنه الكيس، وثالثة بأنه السياسة الناجحة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٦١]،خلقهم الأساسي الحقد والكراهية والحسد ، ففي التلمود أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودي، والشعب المختار هم اليهود أما باقي الشعوب فهم حيوانات، ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم ، ويلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشوا من سواهم فقد جاء فيه (يلزم أن تكون طاهرا مع الطاهرين ودنسا مع الدنسين) والمقصود بالطاهرين اليهود، ويمنع التلمود اليهود أن يحبوا غير اليهود ما لم يخشوا شرهم ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود ([2]).

%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A3%D9%87%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D9%81%D9%8A%D8%A9

[1]- راجع المصدرين السابقين السيرة النبوية د. محمد أبي شهبة وتفسير الشيخ الشنقيطي في نفس الصفحات.

٢- الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج ص ٥١-٥٥، التلمود شريعة إسرائيل، محمد صبري، مكتبة مدبولي طبعة ٢٠١١، ص٢٥.

ومن صفاتهم القبيحة تعلقهم الشديد بالمال وعبادة الذهب والجشع وأكلهم الربا: فلما كان التلمود يقرر أن اليهود أجزاء من الله فإن اليهود يعتبرون أنفسهم مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الله، وقد جاء في وصايا موسى (لا تسرق مال القريب) وفسر علماء التلمود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودي مال الغريب أي غير اليهودي فسلب ماله ليس مخالفا للوصايا بل هو استرداد لأموال من سالبيها، ومن الوسائل التي يصطنعها اليهود ليستولوا على ثروات العالم الغش الذي أجاز التلمود استعماله مع غير اليهود في البيع والشراء وقال الحاخام رشى: (مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانا كاذبة)، ومن الوسائل كذلك عدم رد الأشياء المفقودة فقد جاء في التلمود (إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود)، ومن الوسائل كذلك الربا الذي أجاز التلمود استعماله مع غير اليهودي فجاء فيه (غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بربا)([1]).

ومنها سعيهم في الأرض فسادا وإفسادا: والمتتبع لمعظم مراكز الفساد الفكري والسلوكي والنفسي في العالم يلاحظ أنها مؤسسات يهودية تدار بأفكار ونفوس وأموال يهودية وتستثمر لمصالح يهودية، قال تعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤] فبمخططات شيطانية عمل اليهود على شقاء البشرية وإفساد العالم، وصدق قول أوسكار ليفي (نحن اليهود لسنا إلا مفسدي العالم ومحركي الفتن وجلاديه) وقول موريس صموئيل (نحن اليهود.. نحن المدمرون لكل شيء.. ولسوف نبقى مدمرين إلى الأبد) ([2]) .

نهاية محتومة: هذا الركام الضخم من الدنس وكفران نعمة الاصطفاء والفشل في تحمل أعباء الرسالة عبر هذه القرون السحيقة جعل اللعنة الإلهية التي حاقت باليهود عدلا ربانيا ونتيجة محتومة، وتحتم تحويل قيادة قافلة الإيمان إلى قوم أجدر بها فكان الإسراء والمعراج مسرح لعملية التحويل الكبرى ليتسلم النبي العربي القيادة ويكون الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

قال سيد قطب: والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا ([3]).

جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد في ليلة الإسراء في المسجد الأقصى ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل فصلى بهم إماما اعترافا من هؤلاء الرسل بفضله ومنزلته وتسليما منهم بأنه أفضل الخلق وأكرمهم وأقربهم إلى الله سبحانه فهو إمام الخلق أجمعين وإمام الأنبياء والمرسلين، كما أنه إقرار بختم النبوة والرسالة بنبوته ورسالته وإقرار بنسخ رسالاتهم برسالته ونسخ كتبهم بكتابه ودعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام والإيمان بالقرآن، وأخيرا كان هذا تسليما من هؤلاء الأنبياء والمرسلين لمفاتيح الأرض المقدسة إلى النبي محمد العربي وأمته فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكانوا هم المسئولون عنها والراعون لها والخلفاء عليها وأنوار رسالاتهم انتشرت عليها وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على الأرض المقدسة إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد الدائمة حتى قيام الساعة، وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد المسؤولية والخلافة والأمانة والعهد وأوكلوا له ولأمته من بعده مهمة

١- اليهودية، د. أحمد شلبي ص ٢٧٤.

٢- أخلاق اليهود، للدكتور صلاح الخالدي، ص٩٨ وما بعدها.

٣- في ظلال القرآن، سيد قطب أول سورة الإسراء ج٤ ص ٢٢١٢.

الأرض المقدسة ورعايتها وحمايتها والخلافة فيها واستمرار الإيمان عليها حتى قيام الساعة، ولقد كان هذا إعلانا عالميا بانتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى قيام الساعة.

وجعلت الصلاة ميدانا ومجالا لهذا الانتقال وجوا مناسبا للتسليم والتسلم ليعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمقه في أمة الإمامة والخلافة التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة، إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين لله صدقا ولا عابدين له حقا ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة وجعلها في أمة العبادة والصلاة وتسلم رسولها محمد صلى الله عليه وسلم هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة ([1]).

العاشرة: علاقة الإسراء بالقدس والمسجد الأقصى: هذه الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدمات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدمات، وارتباط رسالته بها جميعا، فهذه الرحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادًا وآفاقًا أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معان أكبر من المعاني القريبة التي تتكشف عنها النظرة الأولى.

ويعد المسجد الأقصى طرف هذه الرحلة، والمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة التي أسكنها الله بني اسرائيل ثم أخرجهم منها، إن اقتران الزمن بين إسرائه عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى

وفيه دلالة واضحة ايضا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ما بين الأنبياء من رابط الدين الواحد الذي ابتعثهم الله عز وجل به ، وفيه دلالة على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت، من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة، وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمي هذا العصر أن لا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة، وأن يطهروها من رجسهم، ويعيدوها إلى أصحابها المؤمنين، القدس في اعتقاد المسلمين لها مكانة دينية، وقد اتفق على ذلك المسلمون بجميع طوائفهم ومذاهبهم وتوجهاتهم فهذا اجماع أمة بأكمله من أقصاها إلى أقصاها، ولا غرو أن يلتزم جميع المسلمين بوجوب الدفاع عن القدس والغيرة عليها والذود عن حماها وحرماتها ومقدساتها وبذل النفس والنفيس في سبيل حماياتها ورد المعتدين عنها.

فللقدس قدسية في الحس المسلمين ووعيهم الإسلامي:

فهي القبلة الأولى التي ظل رسول الله وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج وظلوا يصلون إليها في مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة، حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وفي المدينة النبوية مَعلم أثري بارز يؤكد هذه القضية، وهو مسجد القبلتين ، الذي صلى فيه المسلمون صلاة واحدة بعضها إلى

[1]- كتاب واقدساه، د. سد العفاني ج١ ص ١٣٤- ١٣٧ عن د/ صلاح الخالدي. وراجع مقالة : مقالة الإسراء والمعراج .. الإلغاء الأبدي والطي السرمدي لصفحة بني إسرائيل د. خالد النجار على شبكة الالوكة

القدس، وبعضها إلى مكة، وهذا لا يزال قائم إلى هذا الوقت وقد جُدد، وهذا المكان يُزار إلى هذا الوقت، وقد أثار اليهود في المدينة ضجة كبرى حول هذا التحول، إلا أن القرآن رد عليهم بأن الجهات كلها لله، وهو الذي يحدد هذا أيها يكون القبلة لمن يصلي

وهي أرض الإسراء والمعراج إن الله تعالى جعلها منتهى رحلة الإسراء الأرضية، ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شاءت إرادة الله أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية الليلية المباركة من مكة ومن المسجد الحرام، حيث كان يقيم الرسول ، وأن تنتهي عند المسجد الأقصى، ولم يكن هذا جزافاً، بل بتدبير إلهي ولحكمة ربانية، وهي أن يلتقي خاتم الأنبياء والرسل بالرسل الكرام هناك، ويصلي بهم إماماً، وهذا إعلان عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بني إسرائيل إلى أمة جديدة، ورسول جديد، وكتاب جديد،، أمة عالمية، ورسول عالمي، وكتاب عالمي، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

وقد نص القرآن على مبتدأ هذه الرحلة ومنتهاها بجلاء ووضوح في أول أية في السورة التي حملت اسم هذه الرحلة (سورة الإسراء) قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير ﴾، وهذه الآية لم تصف المسجد الحرام بأية صفة مع ما له من بركات وأمجاد، ولكنها وصفت المسجد الأقصى بهذا الوصف ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾، وإذا كان ما حولهُ مبارك فمن باب أولى أن يكون هو مباركاً.

وهذه الرحلة حفلت بالرموز والدلالات التي توحي بأهمية هذا المكان المبارك، الذي ربط فيه جبريل البراق، الدابة التي كانت وسيلة الانتقال من مكة إلى القدس، وقد ربطها بالصخرة حتى يعود من الرحلة الأخرى، التي بدأت من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، إلى سدرة المنتهى ، ولو لم تكن القدس مقصودة في هذه الرحلة لأمكن العروج به من مكة إلى السماوات العلا مباشرة، لكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود، كما دلت الأدلة من القرآن والسنة الشريفة، لذا لا تنفصل قدسية أحد المسجدين عن قدسية الآخر، ومن فرط في أحدهما أوشك أن يفرط في الآخر.

والقدس ثالث المدن المعظمة: القدس ثالث المدن المعظمة في الإسلام ، مكة المكرمة، التي شرفها الله بالمسجد الحرام، والمدينة الثانية هي طيبة (أي المدينة المنورة)، التي شرفها الله بالمسجد النبوي، والتي ضمت قبره صلى الله عليه وسلم، والثالثة مدينة القدس، التي شرفها الله بالمسجد الأقصى ، وقد أعلن القرآن عن أهمية المسجد الأقصى وبركته، قبل بناء المسجد النبوي، وقبل الهجرة بسنوات، والإسلام حين جعل المسجد الأقصى ثالث المسجدين العظيمين في الإسلام، وبالتالي أضاف القدس إلى المدينتين الإسلاميتين المعظمتين (مكة والمدينة) ليقرر مبدأً هاماً من مبادئه، وهو أنه جاء ليبني لا ليهدم، وليتمم لا ليحطم، فالقدس كانت أرض النبوات، والمسلمون أولى الناس بأنبياء الله ورسله كما قال الرسول ليهود المدينة: (نحن أولى بموسى منكم)([1]).

القدس أرض النبوات والبركات: القدس هي جزء من أرض فلسطين، ولقد وصف الله هذه الأرض بالبركة في خمسة مواضع في كتابه العزيز:

أ- ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه ﴾[الاسراء:١] في سورة الإسراء حين وصف المسجد الأقصى بهذا.

ب- ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء:٧١] حين تحدث في قصة خليله إبراهيم.

[1] - صحيح البخاري رقم(٣٩٤٣) وصحيح مسلم رقم(١١٣٠) وغيرهم.

ت- ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[الأعراف:١٣٧] في قصة موسى حيث قال هذا عن بني إسرائيل بعد إغراق فرعون وجنوده.

ث- ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨١] وهذا في قصة سليمان وما سخر الله له من ملك لا ينبغي لأحد بعده ومنه تسخير الريح.

ج - ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[سبأ:١٨] في قصة سبأ وكيف من الله عليهم بالأمن، فهذه القرى التي بارك الله فيها هي قرى الشام وفلسطين.

قال الألوسي في روح المعاني: [١٢٩/٢٢]: المراد بالقرى التي بورك فيها: قرى الشام، لكثرة أشجارها وثمارها، والتوسعة على أهلها، وعن ابن عباس: هي قرى بيت المقدس، وقال ابن عطية: ان إجماع المفسرين عليه.

القدس أرض الرباط والجهاد: لقد كان حديث القرآن عن المسجد الأقصى، وحديث الرسول عن فضل الصلاة فيه، من المبشرات بأن القدس سيفتحها الإسلام، وستكون للمسلمين، وسيشدون الرحال إلى مسجدها، مصلين لله متعبدين، وقد فتحت القدس التي كانت تسمى إيلياء في عهد الخليفة الثاني في الإسلام عمر بن الخطاب وقد جاء عمر من المدينة إلى القدس، وتسلم المفاتيح، وعقد مع أهلها معاهدة وتسمى بـ(العهدة العمرية).

وقد أعلم الله نبيه بأن هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء، ولهذا حرض أمته على الرباط فيها، والجهاد للدفاع عنها حتى لا تسقط في أيدي الأعداء، ولتحريرها إذا قدر لها أن تسقط في أيديهم، وقد أخبر الرسول بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود، وأن النصر في النهاية سيكون للمسلمين، وأن كل شيء سيكون في صف المسلمين حتى الحجر والشجر، وأن كلاً منهما سينطق دالاً على الأعداء، سواء كان نطقاً بلسان الحال أم بلسان المقال والأخذ بظاهر الحديث وأنه سيكون نطق الحجر بلسان المقال أولى وأصح، وكما أنه أخبر أنه ستظل طائفة من أمته على الحق قال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابهم، إلا ما أصابهم من لأواء (أي أذى) حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)) قالوا: وأين هم يا رسول الله؟ قال: ((ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس))

القرآن ومستقبل اليهود في بيت المقدس ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ :

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء ماضي والسنة ماضية، ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادو إلى الإفساد فسلط الله عليهم عباداً أخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم ((هتلر)) ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة ((إسرائيل)) التي أذاقت العرب والمسلمين أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره قريب، وأخبر أن مصيرهم في الأخرة مصير المفسدين ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨] تحصرهم فلا يفلت منهم أحد وتتسع لهم فلا يند عنها أحد، وقبل هذا ففي الدنيا كما أخبر القرآن وأخبرت السنة، بأنه سيسلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٦٧]، نعم ورب الكعبة ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وإن غداً لناظره قريب.

وهذا إظهار لصدق دعوى النبي ومدى ارتباط مكة بالقدس، وأن هذا الارتباط ارتباط ديني عقدي مبني على التوحيد، وأن الحق لعباد الله، وهذه الرحلة أكدت على قدسية بيت المقدس، التي شرفها الله بالمسجد الأقصى وبوجوده في هذه البقعة الظاهرة، وهو سنه العبادة لله وبيت لتوحيد الله، وكونه الصلة العظيمة الأولى بالله تعالى.

الحادية عشرة: مسألة البعد (الزمني) لحادثة الإسراء والمعراج: المسافة الفاصلة بين مكة والقدس تتضاءل وتضيع إذا ما عرضناها على الأمداء الكونية الهائلة التي قطعها الرسول عبر السماوات، في أعماق ذلك الليل!! هنالك حشد من الآيات واللمسات والإشارات منبثة في حنايا السور القرآنية موحية وذات دلالة عميقة: {قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ }[البقرة:٢٥٩]، {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ }[يونس:٤٥]، {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء:٥٢]، {قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ } [المؤمنون:١١٣]، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) [الروم:٥٥] {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }[السجدة:٥]، {وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج:٤٧]

تبيّن هذه الآيات وغيرها الكثير ترابطا وانسجاما رياضيا دقيقا، فيها تأكيدا مستمرا على الحقيقة «الطبيعية» التي لم تتكشف بعض جوانبها للعلم إلا أخيرا، تلك هي (أن الزمن في الأرض والزمن في أمداء الكون ليسا سواء)، (وأن هناك فرقا شاسعا بين الوحدة الزمنية الأرضية والوحدة الزمنية الكونية) يبلغ تارة ٠٠٠، ٣٦٥ ضعف ويبلغ تارة أخرى ٠٠٠، ٢٥٠، ١٨ بحساب القرآن الكريم نفسه!! ومن أجل ذلك سيشده الناس يوم القيامة، وسيظنون أن حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة من نهار وأنهم لم يلبثوا إلا قليلا..

ولنتدبر هذه الآية {تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً. وَنَراهُ قَرِيباً }[المعارج:٤-٧]إن الملائكة والروح، وقد تجردت من عوائق الجسد والتراب التي تقيد الإنسان، وتجاوزت قوانين الزمان والمكان الأرضية النسبية، تصعد الآن في طريقها إلى بارئها عبر معارج وأمداء لا يحيطها قط خيال إنسان، لأنها ستجتاز هذه الأمداء التي تبعثرت فيها خمسمائة مليون مجرة، في كل منها آلاف المجموعات الشمسية، كمجموعتنا وأكبر، تجتازها في يوم واحد لكنه ليس كأيامنا، إنه بحساب أيامنا ثمانية عشر مليونا وربع المليون يوما.. إنه اليوم الكوني الذي أشار إليه (أينشتاين) في (نسبيته) التي قادته إلى آفاق جديدة رحبة في ميدان العلوم الطبيعية والرياضية، حتى إنه ليقال إن وصول إنسان ما إلى إحدى المجرّات يحتاج إلى خمسمائة سنة ضوئية، لكن هذا الإنسان نفسه إذا ما تيسر له جهاز ينقله عبر الفضاء بسرعة الضوء فإنه سيختزل هذه المدة الشاسعة إلى ما يقرب من خمسين سنة فحسب!!

إن الملائكة والروح المتخفّف من أعباء الجسد وشد الأعضاء لا يعجزها أن تفوق في حركتها سرعة الضوء، ومن ثم فهي تعرج الكون كله في طريقها إلى خالق الكون جلّ وعلا في يوم واحد في حساب حركتها الزمنية عبر الكون لا بحسابنا.. ومن ثم ينادي الله في علاه رسوله الكريم وهو يشقى بدعوة أناس يرون يوم الحساب بعيدا كبعد السراب {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً. وَنَراهُ قَرِيباً}، وهذا يقربنا بعض الشيء من فهم حادثتين زمنيتين عرضهما علينا القرآن الكريم في سيرة نبيين من أنبيائه عليهم السلام تكريما لهما وتقديرا: حادثة نقل عرش بلقيس في جزء من اللحظة وحادثة الإسراء والمعراج التي نحن بصددها.

ونحن نقرأ عن الحادثة: {قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ

رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ. قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَهكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} [النمل:٣٨].

ألا تلفتنا في هذا العرض عبارات كهذه عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها؟ ثم ألا يثير تساؤلنا تفوق (الإنسان) الذي عنده علم من الكتاب على (العفريت) وتمكنه من اختزال عملية النقل من ست ساعات إلى سدس اللحظة، وربط سليمان إتيانه العلم من قبلها بكونه مسلما، أي منقادا لأمر الله وسننه ونواميسه؟ ثم ألا يعني هذا كله إن منح (علم الكتاب) لرجل أو عفريت أو نبي أو ملك هو اطلاعه على الدستور الرياضي والطبيعي لقوانين الكون ومن ثم تسخيرها إلى أقصى مدى ممكن لتحقيق منجزات زمنية ومكانية تبدو بالمقاييس الراهنة خارقة معجزة؟

إن الناس قبل أن يسخّروا قوى البخار والكهرباء والذرة كانوا يقطعون عدة مئات من الأميال في شهرين أو ثلاثة، ولو قيل لهم آنذاك إن بإمكان الإنسان لو حظي بمزيد من العلم بنواميس الطبيعة وسننها أن يختزل هذه المدة إلى أيام وإلى ساعات فإنهم سوف لن يصدقوا وسيتهمون القائل بشطط الخيال على أقل تقدير.. ومضت القرون وسخّر البخار والكهرباء والذرة وصرنا نصل إلى أطراف الأرض في ساعات معدودة، ونجتاز عالمنا الصغير صوب القمر، ونتطلع للذهاب إلى ما هو أبعد في مجموعتنا الشمسية، ولو قال لنا قائل الآن إنه سيجيئ يوم يكشف فيه العلماء عن مزيد من (السنن والقوانين) الطبيعية والرياضية وأنهم سيتمكنون بذلك من صنع أجهزة تنقل الإنسان إلى القمر في ساعتين أو ثلاث لاتهمناه هو الآخر بشطط الخيال.. لكن ذلك اليوم سيجيئ، وسيجيئ حتما طالما كان هنالك سعي دائب للكشف عن مزيد من جوانب العلم الذي تسير به السماوات والأرض.

وكثيرا ما يتكلم المتكلمون عن محاولات تجري لنقل الأجسام والأشياء من مكان إلى مكان بعيد، بسرعة كسرعة الضوء، بعد تفكيكها إلى تكويناتها الذرية الأولى وإعادة تركيبها من جديد في المكان الذي استقرت فيه متحدية حواجز المكان والزمان، وهذا الأمر كذلك لا يستبعد أن يتحقق في يوم قريب أو بعيد ... وهل كان بإمكان أحد قبل قرنين من الزمان أن يصدق أن بإمكان قنبلة لا تتجاوز حجم الكتاب، عوملت فيها الذرات التافهة الحقيرة معاملة خاصة معقدة، أن تدمر مدينة كبيرة بأسرها وتمحقها محقا من الوجود في دقائق ولحظات؟!

إن القوانين والسنن الطبيعية التي تسير السماوات والأرض إلى غاياتها المرسومة في علم الله، والطاقات التي تحتويها هذه الكتلة الكونية هي هي في كل زمان، والذي يتاح له الاطلاع على بعض جوانبها وفاعلياتها يستطيع أن يأتي بالعجب العجاب، وأن يتحدى الوقائع المألوفة ويتجاوز تحديات المكان والزمان ... فكيف وأن هذا العلم يمنح مباشرة من الله سبحانه معززا بإراداته التي لا تغلب لذلك الرجل الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ ، أو إلى نبي كسليمان عليه السلام، هل يعجزهما أن يأتيا بعرش بلقيس عبر آلاف الأميال في جزء تافه ضئيل من لحظة زمنية، أو يتحققا من إمكانية حدوث أمر كهذا؟

أما حادثة الإسراء والمعراج التي نحن بصددها، فإن ما يلفت نظرنا فيها ما ورد في البخاري عن مالك بن صعصعة من أن رسول الله ﷺ حمل على (براق) يضع خطوه عند أقصى طرفه انطلق به بصحبة جبريل إلى السماوات السبع ... إن البراق، هذا الذي يضع خطوه عند أقصى طرفه والذي يقطع المسافات الشاسعة في لحظات، يشتق اسمه من عالم الضوء والكهرباء، وهي تسمية ذات مغزى عميق جاءت في عصر لم يكن أحد فيه يعرف شيئا عن قوانين الضوء وسرعته وطاقات الكهرباء وإمكاناتها، وهي كما يبدو رمز مدهش للتعبير عن الانسجام الكامل بين رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين سنن العلوم وقوانينها، تلك الرحلة التي لم يرد لها أن تكون إعجازا يفحم المشركين بعد إذ لم تقنعهم معجزة

القرآن ذاتها، بقدر ما أريد لها أن تكون رحلة تكريم يطلع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على أطراف الكون الذي أبدع الله صنعه وأتقن حبكته، وإن كان من بديهات القول أن بإمكان الله سبحانه أن يتجاوز السنن والقوانين في أية لحظة يشاء، لأنه جلت قدرته صانع السنن والقوانين. لكن هذه الحقيقة الكبيرة لا تمنعنا من القول بأن رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن أن تجد لها تفسيرا وتحليلا على نطاق الطبيعة والرياضيات لا يتجاوز بطبيعة الحال الظن والتخمين ...

وفي صبيحة اليوم التالي عندما تحدى مشركو مكة الرسول أن يصف لهم بيت المقدس إن كان رآه حقا، طفق الرسول يصفه وكأنه معروض عليه عرضا، أزقته وأسواقه وباحاته وكنائسه وطرقاته. عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» !!

وأنا أنظر إليه!! لحظة من لحظات تجاوز الأبعاد والحواجز الزمانية والمكانية تعتمد السنن نفسها التي نقل فيها عرش بلقيس وأسري بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى القدس ثم عرج به في جزء من ليلة إلى أقصى الكون.. السنن التي جعلت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما بعد يصرخ وهو في مسجد المدينة (يا سارية الجبل.. الجبل) سارية الذي كان يقاتل في العراق ويتعرض وجنده لكمين قاتل.

هذا عن سنن الكون في أبعاده المادية، فماذا عن (الروح وطاقاتها وأساليبها في التعامل مع النواميس؟) إن الله سبحانه الذي هو صانع السنن والقوانين يهب بعض عبادة القدرة الخارقة التي يتمكن بها العبد من طبيعته الخاصة ومما يحيط بها من أشياء وموجودات، فيصنع المستحيل. وتبدو هذه (المستحيلات) خوارق بالنسبة لأناس ينظرون من الخارج، لكن القضية بالنسبة للعبد نفسه لا تعدو أن تكون قضية (علمية) تعتمد قوانين الروح وطاقاتها لتسخير الأشياء والموجودات، ولتحطيم الحواجز الخارجية للزمان والمكان..

لقد كشف العلم الطبيعي، نفسه، وفي العقود الأخيرة، ومن خلال تحليله لخواص المادة وتوغله في تركيبها الباطني، عن حقيقة خطيرة، هي أن الطاقة أو الحركة إنما هي قاعدة المادة وأساس الأشياء، وأن تركيب الذرات وما تحتويه من تكوينات أدق كالنيوترونات وما تضمه هذه من تركيبات أشد دقة وضالة يؤول في نهاية المطاف إلى طاقة حركية غير مادية هي التي تتشكل منها الذرات والجزئيات، وهي التي تصوغ في (سرعتها) و (إبطائها) وطبيعة حركتها أشكال الأشياء الصلبة والسائلة والغازية!

فإذا كانت الوحدة الأساسية للبناء الطبيعي المادي قد تكشفت عن الحركة اللامادية أفلا يمكن القول إذن بأن الطاقة الروحية التي تتميز بالوعي والانفصال والامتثال والاستشراف والإرادة يمكن أن تتعامل مع هذه الطاقة (اللامادية) بشكل من الأشكال، وتطوعها لأمرها فتذعن وتلبي؟ إن إشارة ضوئية غير ملموسة توجه مركبة فضائية في غاية التعقيد إلى أهدافها في ظروف تقرب من المستحيل لغير المتوغلين في قوانين العلوم الرياضية والطبيعية، أفلا يمكن لإشارات الروح أن تحقق في عالم الطبيعة ما هو أكثر استحالة وإعجازا لمن لم يعرف، ولن يعرف، عن الروح إلا قليلا؟

إن انهيار الأساس المادي للأشياء، الذي كشف عنه العلم أخيرا، يقربنا خطوات من فهم وإدراك طبيعة التعامل بين الروح والمادة، ولكنها خطوات نحسب أنها ستطلعنا على وحدة البناء الكوني، فوحدة خالقه جل وعلا، ولكنها لن تطلعنا بحال على كل أبعاد وخصائص الروح الإنساني، ولا على كل سننه وقوانينه. هذا الروح الذي هو نفخة الله في الطين، ومصدر الحياة والفكر والإرادة والتقدم، سيظل مستغلقا على الإدراك والتحليل الكاملين، لأن خلافتنا على الأرض لا تقتضي هذا التكشف الكامل، ولأن المقادير الضئيلة التي يمنحنا الله إياها في عالم الروح، توازي فاعليتها المقادير

الضخمة التي مكننا من معرفتها في عالم الطبيعة. وهذا التوازن الحضاري الفذ بين الروح والمادة في ميدان الكشف والمعرفة، هو ما يقودنا إليه في حشد كبير من الآيات التي تدعونا إلى أن نفتح كل منافذنا على الطبيعة لاستكشاف قوانينها وطاقاتها وتسخيرها لتنمية الحياة البشرية وتطويرها.. يقابل هذا الحشد آية كريمة واحدة تقول: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الاسراء:٨٥](١) .

الثانية عشرة: أسري بالرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تأكيدا للرباط المتين الذي يشد البلدين إلى بعضهما، حيث انطلق الأنبياء على مدار القرون، يدعون إلى عبادة الله الواحد ورفض الصنميات الفانية في مكة حيث أقام إبراهيم أبو الأنبياء، وابنه إسماعيل أول بيت لله على الأرض، وفي القدس حيث انبعثت نبوات متتالية تكافح من أجل تعزيز دعوة النبي الأب إبراهيم. وهناك كان الأنبياء الكرام السابقون ينتظرون (خاتمهم) لكي يؤمهم في صلاة جماعية، تعبيرا عن الدور الواحد الذي جاؤوا إلى العالم لأدائه، واتجاها إلى الهدف الواحد الذي بعثوا لتحريك الناس إليه، ووقوفا وراء النبي الذي جاء لكي يتمم البناء ويضع اللبنات المحكمة الأخيرة فيه ثم تجيء التحيات المتبادلة بين النبي وبين إخوانه السابقين عليهم السلام، تأكيدا وتعزيزا لهذه (الوحدة) النبوية التي لا انفصام لها وتقديرا للمبعوث (الأخير) الذي كتب عليه شرف إتمام البناء وإكمال الدين وتحميل الإنسان مسؤوليته الكاملة، أيا كان هذا الإنسان. إن نبينا صلى الله عليه وسلم يحدثنا بنفسه فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة؛ فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين» «البخاري ومسلم».

وكان المسيح قد أكد لأتباعه على هذا الرجل الذي سيبعث لإتمام البناء صاحب الملكوت القادم

الثالثة عشرة: وفي ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهي أنه دين الفطرة، ففي الحديث (..ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن ...) إن سلامة الفطرة لبّ الإسلام، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة عليل القلب. إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة لا تسيل إلا قذرا وسوادا، وربما أخفي هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية، ومظاهر مزوقة، بيد أن ما ينطلي على الناس لا يخدع به رب الناس (٢).

الرابعة عشرة: وفي المعراج شرعت الصلوات الخمس، شرعت في السماء لتكون معراجا يرقى بالناس كلما تدلّت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا، وقد أجمع العلماء على أن الصلوات الخمس لم تفرض إلا في هذه الليلة(٣)، قال كثير: " فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، فرض الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك ، شيئا فشيئا"(٤).

ثم نزل جبريل عليه السلام وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أوقات الصلاة : عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ ؟ أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ،

١- بحث (القرآن والبعد الزمني) د. عماد الدين خليل: مجلة الوعي الإسلامي عدد ٩١ سنة ٨ و (معاول في جدار العلمانية) د. عماد الدين خليل ، نفس المجلة عدد ٥٥، ٦٠ سنة ٥. وكتابه دراسة في السيرة ص ٩٥ – ١٠٣، مرجع سابق.

٢- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، دار القلم، ١٤٢٩، ص: ١٤٥.

٣ -"فتح الباري" لابن رجب (٢ / ١٠٤)

٤ -"تفسير ابن كثير" (٧ / ١٦٤)

ثُمَّ قَالَ : (بِهَذَا أُمِرْت) فَقَالَ عُمَرُ لِعُرْوَةَ : انْظُرْ مَا تُحَدِّثُ يَا عُرْوَةُ ؟ أَوَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام هُوَ أَقَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ الصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ عُرْوَةُ : كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.([1])

وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتْ الشَّمْسُ . ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَهُ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ . ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا غَابَتْ الشَّمْسُ جَاءَهُ فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ . فَقَامَ فَصَلَّاهَا حِينَ غَابَتْ الشَّمْسُ سَوَاءً ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الشَّفَقُ جَاءَهُ فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ الْعِشَاءَ . فَقَامَ فَصَلَّاهَا الحديث، وفيه : فَقَالَ – يعني جبريل – : (مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ كُلُّهُ) ([2]).

وروى عبد الرزاق في "مصنفه" (١٧٧٣) وابن إسحاق في سيرته ، كما في فتح الباري (٢ / ٢٨٥) أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة، وقال القرطبي: ولم يختلفوا في أن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الإسراء عند الزوال فعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها "، وقال ابن تيمية: " بيان جبريل للمواقيت كان صبيحة ليلة الإسراء "([3]).

وكان أول فرض الصلوات الخمس ركعتان، ثم بعد الهجرة أقرت في السفر، وزيدت في الحضر ركعتين، إلا المغرب فعلى حالها فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى)([4]).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون قبل فرض الصلوات الخمس: " أَصْل وُجُوبِ الصَّلَاةِ كَانَ فِي مَكَّةَ فِي أَوَّل الإِسْلاَمِ؛ لِوُجُودِ الآْيَاتِ الْمَكِّيَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي بِدَايَةِ الرِّسَالَةِ تَحُثُّ عَلَيْهَا . وَأَمَّا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ بِالصُّورَةِ الْمَعْهُودَةِ فَإِنَّهَا فُرِضَتْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ "([5])، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة كانت مفروضة أول الأمر ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، قال الحافظ رحمه الله في الفتح : " ذَهَبَ جَمَاعَة إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْل الْإِسْرَاء صَلَاة مَفْرُوضَة إِلَّا مَا كَانَ وَقَعَ الْأَمْر بِهِ مِنْ صَلَاة اللَّيْل مِنْ غَيْر تَحْدِيد ، وَذَهَبَ الْحَرْبِيُّ إِلَى أَنَّ الصَّلَاة كَانَتْ مَفْرُوضَة رَكْعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعَشِيِّ ، وَذَكَرَ الشَّافِعِيّ عَنْ بَعْض أَهْل الْعِلْم أَنَّ صَلَاة اللَّيْل كَانَتْ مَفْرُوضَة ثُمَّ نُسِخَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فَصَارَ الْفَرْض قِيَام بَعْض اللَّيْل ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْس " .

وقال أيضا : " كَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل الْإِسْرَاء يُصَلِّي قَطْعًا ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابه لَكِنْ اُخْتُلِفَ هَلْ افْتُرِضَ قَبْل الْخَمْس شَيْء مِنْ الصَّلَاة أَمْ لَا ؟ فقيل : إِنَّ الْفَرْض أَوَّلًا كَانَ صَلَاة قَبْل طُلُوع الشَّمْس وَصَلَاة قَبْل غُرُوبهَا ، وَالْحُجَّة فِيهِ قَوْله تَعَالَى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) وَنَحْوهَا مِنْ الْآيَات "([6]).

الخامسة عشرة: وقصة النيل والفرات ما صلتهما بالرحلة عبر السماوات؟ لقد عرف محمد في هذه الرحلة أن رسالته ستنساح في الأرض، وتتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات وتنتزع هذه البقاع من مجوسية الفرس وتثليث الروم،

---

[1] – صحيح البخاري رقم:(٥٢٢) وصحيح مسلم رقم: (٦١١)

[2] – روى النسائي (٥٢٦) وصححه الالباني في صحيح النسائي.

[3] –"شرح العمدة" (٤ / ١٤٨)

[4] – فروى البخاري (٣٩٣٥) ومسلم (٦٨٥)

[5] – "الموسوعة الفقهية الكويتية" (٢٧ / ٥٢-٥٣)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –الكويت.

[6] – وينظر أيضاً: "تفسير ابن عطية" (٢٠٤/١) ، "التحرير والتنوير" لابن عاشور (٧٥/٢٤) .

بل إن أهل هذه الأودية سيكونون حملة الإسلام جيلا في أعقاب جيل، وهذا معنى رؤية النيل والفرات في الجنة، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة كما يظن السذّج والبله([1]).

السادسة عشرة: قالﷺ: «ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان ما أدري ما هي؟»، ونحن نسمع اليوم من رواد الفضاء، عن الألوان التي تتراءى لهم عبر رحلاتهم في الفضاء وإلى القمر، لا يدرون ما هي، لكن هل يضم عالمنا الأرضي كل الألوان وكل المسميات؟! وهل بمقدور لغات العالم كله ومصطلحاته أن (تعبّر) عن (موجودات) الكون الفسيح وأحداثه التي تنأى عن علمنا وبداهاتنا ومسلماتنا ؟ إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين وتصغير جموعهم ومعرفة عقباهم، والله عزّ وجلّ يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستنادا إليه إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة ويهاجمون سلطانهم القائم، لقد جاء الإسراء والمعراج قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما وبذلك كان علاجا مسح متاعب الماضي، ووضع جذور النجاح للمستقبل ([2]).

السابعة عشرة والثامنة عشرة: قضية موسى عليه السلام وتخفيف الصلاة: قال د. أحمد شلبي(٣) وغيره: هذه القصة من الإسرائيليات التي ترمي إلى وضع موسى في موضع المعلّم لمحمد وصاحب الفضل على المسلمين وكأنه أعرف بأمة محمد من محمد جعلت بعض الروايات موسى في السماء السابعة وجعلته يقول عندما رأى محمداً يتخطى السماء السابعة إلى ما فوقها رب لم أكن أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم إن الروايات تقسو في تصوير اعتراض موسى لمحمد وعبارتها هي، عندما عاد محمد احتبسه موسى وهو تعبير لا يليق بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فنقول: إن لموسى وسائر الأنبياء أحياء عند ربهم حياة برزخيّة أعلى وأكمل من حياة الشهداء الذين قال الله فيهم: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون} وقال تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} وقد رأى النبي لما عرج به إلى السماء عدداً من الأنبياء في السموات السبع وسلم عليهم فردوا عليه السلام ورحبوا به ودعوا له بخير، وهذا يدل على أنهم أحياء عند ربهم حياة برزخية، والأحاديث الواردة في ذلك ثابتة عن النبي بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما، وفيها أبلغ رد على من أنكر الحياة البرزخية للأنبياء.

وأما قوله: وتصوره في السماء السادسة أو السابعة: فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن رسول الله أخبر أنه رأى موسى في السماء السادسة، وجاء مثل ذلك فيما رواه الإمام أحمد ومسلم من حديث ثابت البناني عن أنس، وجاء مثل ذلك فيما رواه البيهقي في «دلائل النبوة» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وجاء مثل ذلك فيما رواه ابن جرير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والعمدة في هذا على ما ثبت في الصحيحين عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه وما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه، وما سوى ذلك فهي شواهد لما جاء في الصحيحين، وأما قوله: وتصوره يسأل محمداً ما فرض الله عليك وعلى أمتك فيقول خمسون صلاة في اليوم والليلة فيقول له موسى ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، ويستجيب محمد ويعود مرة أخرى وثالثة ورابعة، كل ما ذكره فهو واقع وثابت عن النبي فمن أنكره فإنما هو في الحقيقة ينكر على النبي ويكذب خبره الصادق وأما قوله: واعتقادي أن هذه القصة من الإسرائيليات التي ترمي إلى وضع موسى في موضع المعلم لمحمد وصاحب الفضل على المسلمين وكأنه أعرف بأمة محمد من محمد.

---

[1]- فقه السيرة للغزالي، ص: ١٤٢

[2]- فقه السيرة للغزالي، ص:١٤٢ ، و دراسة في السيرة د. عماد الدين خليل، ص: ٩٦.

[3]- د. أحمد شلبي رسالة الاسراء والمعراج وهي الجزء الثالث (من المكتبة الاسلامية المصورة لكل الاعمار) ص ٣١ ،٣٢،٣٣ وما بعدها.

ليس فيما دار بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من المراجعة في طلب التخفيف من عدد الصلوات ما يرمى إلى وضع موسى في موضع المعلم لمحمد كما قد توهم ذلك أحمد شلبي وغيره، وإنما ذلك من باب المشورة على النبي والنصيحة له ولأمته وقد قال النبي: «الدين النصيحة» رواه مسلم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يشيرون على النبي في بعض الأمور فيقبل مشورتهم ويعمل بما يرى فيه مصلحة عامة أو خاصة. ولا شك أن نصيحة موسى عليه الصلاة والسلام للنبي ومشورته عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف من عدد الصلوات أولى بالقبول لما يترتب على ذلك من التيسير على الأمة كلها، وقد جعل الله تعالى في نصيحته ومشورته خيراً كثيراً، فجزى الله نبينا وجزى موسى عن هذه الأمة خير الجزاء.

وأما كون موسى عليه الصلاة والسلام صاحب فضل على الأمة المحمدية كلها بما بذله من النصيحة والمشورة على رسول الله أن يراجع ربه في طلب التخفيف من عدد الصلوات فهذا لا ينكره إلا مكابر جاحد للمعروف والفضل العظيم الذي قد شمل الأمة كلها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه وفي رواية لأحمد «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل»

إن موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من أنبياء بني إسرائيل كانوا يعرفون الأمة المحمدية بما يجدونه فيما أنزل الله عليهم من الكتب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الله كتب في الألواح يعني التي أنزلت على موسى ذكر محمد وذكر أمته وما ادخر لهم عنده وما يسر عليهم في دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم، رواه ابن جرير.

وأما قوله: وقد تسربت رائحة الإسرائيليات من الروايات المتصلة بهذا الموضوع فقد جعلت بعض الروايات موسى في السماء السابعة وجعلته يقول عندما رأى محمداً يتخطى السماء السابعة إلى ما فوقها، رب لم أكن أظن أن ترفع عليّ أحداً، ما جاء في بعض الروايات أن موسى عليه الصلاة والسلام كان في السماء السابعة فهو غلط من بعض الرواة، وقد جاء في حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وفي حديثي أنس عن مالك بن صعصعة وأبي ذر رضي الله عنهم أن موسى عليه الصلاة والسلام كان في السماء السادسة وأن إبراهيم عليه السلام كان في السماء السابعة، والعمدة على ما جاء في هذه الأحاديث الصحيحة ولا عبرة بما خالفها من الروايات التي قد وقع فيها الغلط والتخليط ، ليس في غلط بعض الروايات في تعيين مكان موسى عليه الصلاة والسلام في السموات ما يدل على أن رائحة الإسرائيليات قد تسربت إلى الروايات الصحيحة، فهذا من ظن السوء بالروايات الصحيحة وبرواتها.

وأما ما جاء في رواية شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك أن موسى عليه السلام قال: يا رب لم أكن أظن أن ترفع علي أحداً: فجوابه: هذا مما اضطرب فيه شريك بن عبدالله وساء حفظه فيه ولم يضبطه، وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله لما أتى السماء السادسة إذا هو بموسى عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح قال: «**فلما تجاوزته بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي**» فهذا هو الثابت المعتمد لا ما جاء في حديث شريك، وأيضاً فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد رفع إلى السماء السابعة كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة وفي رفع إبراهيم على موسى أبلغ رد على ما جاء في رواية شريك عن أنس رضي الله عنه

وأما قوله ثم إن الروايات تقسو في تصوير اعتراض موسى لمحمد، وعبارتها هي: عندما عاد محمد احتبسه موسى وهو تعبير لا يليق بسيدنا رسول الله، فجوابه من وجهين: أحدهما أن يقال: ليس المراد بالاحتباس هنا حبس الإيذاء والإهانة كما هو الظاهر من عبارة الشلبي حيث زعم أن ذلك لا يليق بالنبي، وإنما المراد به طلب التريث عنده قليلاً ليسأله عما

فرضه الله عليه وعلى أمته، وقد كان لهذا الاحتباس أثر عظيم وكان فيه خير كثير للنبي ولجميع أمته حيث أشار موسى على أخيه محمد عليهما الصلاة والسلام، أن يراجع ربه ويطلب منه التخفيف من عدد الصلوات ففعل ذلك النبي عدة مرات كلها بإشارة موسى عليه الصلاة والسلام حتى جعلها الله تعالى خمس صلوات في العمل وخمسين في الأجر، فهذا من ثمرة احتباس موسى عليه الصلاة والسلام للنبي حين مر به، ولا ينكر فضل هذا الاحتباس وعظم ثمرته إلا من هو مصاب في دينه وعقله.

إن في تردد النبي ﷺ بين ربه وبين موسى عليه الصلاة والسلام في طلب التخفيف من عدد الصلوات أعظم تشريف وتكريم للنبي لأنه كان في كل مرة يعرج إلى ربه ويدنو منه ويكلمه ربه ويخفف عنه، وهذا الفضيلة لم تكن لأحد من بني آدم سوى رسول الله، ولو فرضت الصلوات خمس مرات من أول الأمر لَمَا حصل للنبي كثرة العروج إلى ربه والدنو منه وكثرة تكليم الرب له، ولله تعالى فيما قضاه من كثرة تردد نبيه بينه وبين موسى عليه الصلاة والسلام حكم وأسرار لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى، وقد قال تعالى: {لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون}[الأنبياء:٢٣] .

من منح الرب تبارك وتعالى لنبيه وكرمه العظيم عليه ما خصه به من كثرة الصعود إليه والدنو منه وسماع كلامه ومن وفرة منح الرب تبارك وتعالى لنبيه محمدﷺ وأمته وكرمه العظيم عليهم أنه خفف عنهم عدد الصلوات التي كان قد فرضها عليهم يوم خلق السموات والأرض خمسين فجعلها خمساً في العمل وخمسين في الأجر، وهذه نعمة عظيمة لا يعرف قدرها كثير من الناس، وأن الله تعالى كان يحط عنه في كل مرة خمساً وفي رواية عشراً حتى جعلها الله تعالى خمساً في العمل وخمسين في الأجر

ويقولون: كيف يتصور العقل محمداًﷺ ذاهباً وعائداً عدة مرات بناء على طلب موسى، والابن لا يطيع أباه إلى هذا المدى مهما كان في ذلك من خير إليه، إنّ العقل السليم فإنه لا ينكر نصيحة موسى عليه الصلاة والسلام لنبينا محمد ﷺ وإشارته عليه أن يراجع ربه ويطلب منه التخفيف عنه وعن أمته من عدد الصلوات ، ولا ينكر أيضاً ما ثبت عن النبي أنه تردد بين ربه وبين موسى عليه الصلاة والسلام عدة مرات إلى أن انتهى التخفيف من عدد الصلوات، فكل هذا ثابت عن النبيﷺ، والعقل السليم لا ينكر شيئاً مما ثبت عن النبي بل يتلقاه بالقبول والتسليم، وأما العقل السقيم الذي قد رانت عليه ظلمات البدع والشبه والشكوك فإنه لا يقيم وزناً للأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ولا يبالي بردها وإنكارها ومقابلتها بالاعتراضات والآراء الفاسدة(١).

إنّ إنكار بعض المغرضين لهذه الأحاديث بحجة أن العقل لا يتصور محمدا ذاهبا وعائدا؛ استجابة لما أشار عليه به موسى عندما قال له: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، ويرون أن هذا الفعل قد لا يحدث من الابن المطيع لأبيه، فكيف يتصور حدوثه من محمدﷺ لموسى عليه السلام، نقول: إن هذا السلوك ليس بمستغرب من الابن المطيع لأبيه، ولكنه مستغرب في نظر هؤلاء المغرضين لسوء أخلاقهم، ونشأتهم على الأخلاق الفاسدة، وإذا افترضنا جدلا أن ذلك السلوك مستغرب من الابن المطيع لأبيه، فإنه ليس مستغربا من محمد صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السلام لأنه يفعل ذلك حرصا على أمته وخوفا عليهم وإشفاقا بهم، وما دام أن الذي أشار به موسى فيه الخير لأمته، فهو لا يجد غضاضة في أن يبذل كل الخير لهم، بل إن النبي ما توقف عن الرجوع لربه بعد آخر رجعة إلا لأنه استحيى من ربه، ولولا ذلك لرجع إليه مرة أخرى، وكيف نستغرب ذلك من النبي وقد زكاه الله فقال: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [التوبة:١٢٨]، وقال سبحانه وتعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من

١-والرد كله للشيخ: حمود بن حمود التويجري السراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبي عن الإسراء والمعراج ص: ٧٦-٩٤ مكتبة المعارف الرياض ١٩٨٥

أنفسهم} [الأحزاب: ٦]، فهذا كله يدل على مدى حرصه وشفقته بأمته صلى الله عليه وسلم، وهذا كله يبطل مزاعم هؤلاء المغرضين.

أما القول بأن مراجعة موسى لمحمدﷺ يقتضي بأن تكون هذه الأحاديث من الإسرائيليات فهذا مردود، لا يتفق مع المنطق والعقل السليم، "وعلى منطق هذا الطاعن تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث علمي، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني إسرائيل، لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى من دسهم، أما والحديث مروي عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم، ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيدا كل البعد، إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) الصحابة الذين روي عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمسة وعشرين صحابيا، واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة، ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، ووصفه بالإفادة والجودة، فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال في هذا؟!

التاسعة عشرة: ما هو منتشر على بعض الألسن من قول منسوب لجبريل قاله للنبي : تقدم أنت أما أنا فليس لي أن أتقدم خطوة واحدة بعد ذلك، هو كذب لم يرو هذا في شيء من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ وقد ثبت في الصحيحين أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» فهذا المستوى هو آخر ما وصل إليه النبي في عروجه إلى ربه، ولم يذكر في هذا الحديث الصحيح ولا في غيره من الأحاديث الصحيحة أن جبريل وصل إلى مكان لا يستطيع أن يتقدم إليه ولا أنه قال للنبي ﷺ: تقدم أنت وأما أنا فليس لي أن أتقدم خطوة واحدة، فهذا من التقوّل على جبريل وعلى رسول الله وقد تواتر عن النبي أنه قال: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية للبخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

العشرون: هل تجلّى الله تعالى على رسوله في المعراج؟! معنى التجلي في اللغة الظهور، قال الزجاج: {تجلى ربه للجبل} أي ظهر وبان، ذكره ابن الجوزي في تفسيره وابن منظور في لسان العرب، وقال القرطبي: في تفسيره تجلى: معناه ظهر، وإذا علم هذا فقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، فأثبتها طائفة ونفاها آخرون وهو الصحيح لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ **قال:** «**نورٌ أنَّى أراه**» **أي كيف** يمكن ذلك؟ قال المازري معناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، وفي رواية لمسلم قال: «رأيت نوراً» قال النووي: معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره ، وروى الترمذي عن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قرأت: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} ثم قالت: «إنما هو جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد " بعد نزوله من الجبل" له ستمائة جناح قد سد الأفق».([1])

[1]-راجع الشيخ التويجري ، المرجع السابق.

ثالثاً: الردُ التفصيلي على المطاعن التي وجهت لأحاديث الإسراء والمعراج[1]

يدعي بعض المشككين بطلان أحاديث الإسراء والمعراج، ويرون أنها إما ضعيفة أو موضوعة، ويستدلون على ذلك بالآتي:

أولا: اضطراب الروايات وتناقضها فيما بينها، مثل:

١ –الاضطراب في تحديد وقت الحادثة، فمن الروايات ما يخبر بأنها كانت قبل البعثة، ومنها ما يخبر بأنها كانت بعدها.

٢ –الاضطراب في كون الحادثة بالروح فقط، أو بالروح والبدن معا، وفي كونها يقظة أو مناما.

٣ –الاضطراب في وقت شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الروايات ما يخبر بأن ذلك كان في طفولة النبيّ، ومنها ما يخبر بأن ذلك بعد كبره تمهيدا للإسراء والمعراج.

٤ –الاضطراب في تحديد مكان بداية الرحلة، أكان المسجد الحرام، أم بيت أم هانئ، أم بيته ﷺ؟

٥ –الاضطراب في تحديد أماكن الأنبياء في السماوات.

٦ –الاضطراب في تحديد آخر ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء في سدرة المنتهى.

٧ –الاضطراب والتناقض بين قوله تعالى في الحديث: «لا يبدل القول لدي»، وطلب موسى عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى ربه طالبا منه التخفيف.

ثانيا: تناقض الروايات مع القرآن الكريم؛ وذلك لأن القرآن في زعمهم لم يأت فيه ذكر المعراج، بل اكتفى بذكر الإسراء، كما أن استئثار الله بعلم الغيب وهو ثابت في القرآن والسنة يتعارض مع ما ذكر في أحاديث الإسراء والمعراج من غيبيات.

ثالثا: تناقض الروايات مع العقل، مثل:

١ –الأحاديث الواردة بشأن البراق الذي انتقل به النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل، فقد زعم المغرضون أن الله عز وجل لا يحتاج إليه لنقل نبيه، بل يستطيع نقله في طرفة عين، كما فعل ذلك مع عرش بلقيس، عندما أعطى من عنده علم من الكتاب القدرة على ذلك، وعلى هذا فإن أحاديث البراق مردودة.

٢ –الأحاديث التي تذكر استفتاح جبريل عليه السلام للسماوات السبع، بحجة أنه لا توجد أبواب صلدة لكي تدق ، ويؤيدون دعواهم بأن جبريل عليه السلام سئل وهو يطرق باب السماء عمن يستفتح الباب، وأجاب بأنه جبريل، فسئل مرة أخرى، ومن معك؟ فأجاب: محمد، ويعترضون في هذا الحوار على قولهم لجبريل عليه السلام: (من معك؟)، ويخطئون بذلك واضع الحديث (باعتبار الحكم على الحديث بأنه موضوع)، وكان عليه أن يقول: (هل معك أحد؟

٣ –كما ينكرون قول موسى لمحمد عليهما الصلاة والسلام: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف» بعدما علم أن الله فرض على أمة محمد صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة، وحجتهم في هذا الاعتراض هو أن العقل لا يتصور محمدا ذاهبا وعائدا عدة مرات بناء على طلب موسى، والابن لا يطيع أباه إلى هذا المدى، مهما كان في ذلك من خير إليه.

---

[1] – أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج، د. سعد المرصفي، مكتبة المنار، الكويت، ط١، ١٩٩٤م. ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، مطبعة رشوان، ط٢، ٢٠٠٦م. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م. دفاع عن السنة المطهرة، د. علي إبراهيم حشيش، دار العقيدة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م. دفع الشبهات عن السنة والرسول، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، ط٢، ٢٠٠٦م

٤ –كما ينكرون هذه الأحاديث لأنها تثبت رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض، ويتعجبون أيضا من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في الأرض، على الرغم من رؤيته لهم في السماء

٥ –كما ينكرون الأحاديث الواردة في شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بحجة أن الحكمة والعلم معان لا يمكن أن توضع في الطسوت.

٦ –كما ينكرون الأحاديث بدعوى استحالة رفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات لانقطاع الهواء في طبقات الجو العليا.

رابعا: إلحاق النقص بذات الله سبحانه وتعالى، مثل:

١ –إلحاق التشبيه بالله عز وجل كما في الحديث الذي رواه شريك بن عبد الله عن أنس، حيث يقول: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».

٢ –إلحاق الجهل به سبحانه وتعالى في عدم علمه بما يحتمله عباده من قدرة لأداء التكاليف الشرعية، ففرض عليهم خمسين صلاة في البداية، ثم فرض عليهم في نهاية الأمر بعد رجاء النبي صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فيهن أجر الخمسين، كما يرون أن هذا الحديث يثبت عدم علم محمد صلى الله عليه وسلم أيضا بما تطيقه أمته إلا بعدما أعلمه موسى بذلك، ولذلك يرون أن هذه الأحاديث من الإسرائيليات المدسوسة لتعظيم شأن موسى عليه السلام وإلا لماذا كان موسى هو الوحيد الذي أشار على محمد صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى الله وسؤاله التخفيف.

ولأجل كل هذه الأسباب والادعاءات السابقة يردون أحاديث الإسراء والمعراج، ويرون أنها ضعيفة أو موضوعة أو مدسوسة، رامين من وراء ذلك إلى التشكيك في السنة النبوية المطهرة.

وجوه إبطال الشبهة:

إن دعوى رد أحاديث الإسراء والمعراج لتناقضها فيما بينها دعوى باطلة ولا دليل عليها، فهذه الأحاديث في أعلى درجات الصحة؛ فقد وردت بروايات متعددة في صحيحي البخاري ومسلم، منها ما رواه ابن شهاب، ومنها ما رواه قتادة، ومنها ما رواه ثابت البناني، ومنها ما رواه شريك بن عبد الله، وكل هذه الروايات مروية عن الصحابي الجليل أنس بن مالك عن رسول الله، ومن أحسن تأمل هذه الروايات علم علما يقينيا أنها تتكامل وتتعاضد، ولا تتناقض فيما بينها.

فالقول باضطراب الروايات المشتملة على تحديد وقت الحادثة، قول غير صحيح؛ وذلك لأن الروايات لا تتناقض، فقد أجمعت كل الروايات على أن الحادثة كانت بعد البعثة، أما بعض الروايات التي توحي بغير ذلك فقد وجهها العلماء والشراح، كما أن قول الملائكة لجبريل وهو يستفتح أبواب السماء يؤيد ذلك، فقد قالوا له: من معك؟ قال: محمد، قالوا: قد بعث؟ قال: نعم، فهذا يثبت أن الحدوث الفعلي للحادثة كان بعد البعثة وليس قبلها.

والاضطراب المزعوم في كون الحادثة بالروح فقط، أو بالروح والبدن معا، وفي كونها يقظة أو مناما غير مسلم به؛ لكثرة الأدلة على كونها بالبدن والروح معا، وضعف أدلة القائلين بغير ذلك.

والاضطراب المزعوم في الروايات المخبرة بحادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم لا نسلم به أيضا؛ فلا مانع من أن يكون شق صدر النبي قد حدث أكثر من مرة، فمرة في الطفولة تمهيدا للرسالة وما يستلزمها من خلق الأنبياء وصفاتهم، ومرة ثانية في كبره عند البعثة، ومرة ثالثة استعدادا للقائه صلى الله عليه وسلم بربه، وتمهيدا للوقوف بين يديه سبحانه وتعالى، وبالتالي فلا تعارض في الروايات المخبرة بوقت شق صدره صلى الله عليه وسلم.

أما الاضطراب المتوهم في تحديد مكان بداية الرحلة فمردود أيضا؛ لأنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق.

والاضطراب المزعوم حول أمكنة الأنبياء في السماوات غير مسلم به أيضا، فعند من يرى تعدد المعراج فلا إشكال ألبتة، وأما مع الاتحاد فقد جمع الحفاظ بين هذه الروايات.

أما دعوى اضطراب الروايات حول آخر ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم فغير مسلم به أيضا؛ فالألفاظ المختلفة في الروايات لا تتناقض، وإنما تتكامل لتعطي تصورا كاملا لسدرة المنتهى التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم، أما الاختلاف أو الاضطراب في موضع سدرة المنتهى فمردود أيضا؛ لأن هذه الروايات توجه على أن أصل سدرة المنتهى في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها في السماء السابعة، وبذلك فلا تعارض بين الروايات المخبرة بموضع سدرة المنتهى.

لا تعارض بين قول الله في الحديث: «لا يبدل القول لدي»، وبين طلب موسى عليه السلام من محمد صلى الله عليه وسلم بأن يرجع إلى ربه ليسأله التخفيف، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «استحييت من ربي».

أما دعوى رد الأحاديث بحجة أن القرآن لم يذكر المعراج فهذا باطل؛ لأن المعراج قد ورد في سورة النجم في معرض الرد على المشركين المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم، فقد بين الله لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، بل يوحى إليه عن طريق جبريل الذي رآه النبي عند سدرة المنتهى، وفي ذلك دلالة واضحة على حادثة المعراج، أما ادعاء تعارض القرآن مع روايات الإسراء والمعراج بحجة أن الآيات توضح استئثار الله بعلم الغيب، وهذا يتعارض مع الغيبيات الواردة في هذه الروايات، فيرد على هذا بقوله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول} [سورة الجن].

أما دعوى تعارض الروايات مع العقل، فهذا باطل أيضا؛ وذلك لأن ما حدث في الإسراء والمعراج من الغيبيات لا يخضع في الحكم عليه للعقل، وبالتالي فإن إخضاعه لتصورات العقل المحدودة يوهم أنه يخالف العقل، وليس كذلك؛ فإن الله خلق لنا العقل لنتعامل به مع عالم الشهادة لا عالم الغيب، أما عالم الغيب فنحن نسلم بكل ما جاءنا الوحي به، ولا نخضعه للعقل؛ لأنه غير خاضع له، وهذا الذي قلناه ينطبق على البراق وعلى استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء وغير ذلك، أما رجوع محمد صلى الله عليه وسلم عدة مرات فليس بغريب؛ لأنه يدل على حرصه وحبه الشديد لأمته وإشفاقه عليهم، أما رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم في الأرض، ثم صلاته بهم في الأرض فقد وجهها بعض العلماء على أن الله بعث أرواحهم وأبقى أجسادهم في قبورهم، وهذا لا يتعارض مع عظيم قدرة الله، أما الاعتراض على وضع المعاني والحكمة في الطسوت، فيرد عليه بقوله تعالى: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون} [الأعراف:٨]، أما إنكار العروج بحجة انقطاع الهواء، فيرد عليه بما حدث ليونس عليه السلام، وغير ذلك مما يدل على عظمة قدرة الله عز وجل.

إن دعوى رد الأحاديث بحجة أنها تلحق بالله نقصا دعوى باطلة أيضا؛ فالقول بأن قوله صلى الله عليه وسلم: «ودنا الجبار...» يؤدي إلى إلحاق التشبيه والتمثيل بالله سبحانه وتعالى. قول مردود، وقد عالج علماء المسلمين هذه المسألة على جهات هي:

إما أن ننسب الدنو والتدلي لمحمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام وليس إلى الله سبحانه وتعالى على اعتبار التقديم والتأخير، وهو جائز في اللغة.

وإما أن نتأول الدنو والتدلي بأنه مجاز عن زيادة القرب المعنوي والمنزلة العالية الرفيعة لمحمد صلى الله عليه وسلم عند ربه سبحانه وتعالى، أو نفسر الدنو والتدلي على ما فسره العلماء في حديث (ينزل ربنا إلى السماء).

وأما القول بأن الله جاهل بما يطيقه عباده، ففرض عليهم خمسين صلاة ثم خففها بعد سؤال محمد صلى الله عليه وسلم لربه أن يخفف عن الأمة فهذا باطل ومردود؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، ويعلم أن النبي سيسأله التخفيف، فكان لما حدث حكم جليلة، منها إظهار رحمة الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان منزلة النبي عند ربه، وقبوله شفاعته لأمته بالتخفيف، وأما دعوى عدم علم النبي بما تطيقه أمته إلا بعد إعلام موسى له مما يفيد في زعمهم جهل محمد صلى الله عليه وسلم بما تطيقه أمته، ويفيد تعظيم شأن موسى عليه السلام، ويؤكد أن روايات الأحاديث من الإسرائيليات المدسوسة فهذا مردود؛ لأن عدم علم النبي بما تطيقه أمته لا يقدح في نبوته؛ لأنه كان في بداية مبعثه، وكان موسى قد قضى عمره في الدعوة، فهو أخبر بحال بني إسرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الله لم يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر لحكمة عظيمة، وهي إظهار أمر الشورى وإقراره؛ ليعمل به المسلمون، كما أن في هذا الأمر دليلا على المهمة المشتركة بين جميع الأنبياء، وهي مهمة الدعوة والحرص عليها، ودليلا على توحد الهدف، وهو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته.

التفصيل:

أولا. أحاديث الإسراء والمعراج صحيحة وثابتة ومتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تناقض بينها ولا اختلاف: تمثل معجزة الإسراء والمعراج نقطة تحول عظيمة لا في حياة النبي وحده، ولكن في حياة الأمة الإسلامية كلها؛ حيث كانت البداية الحقة والقوة الدافعة لمسيرة الدعوة الإسلامية وبعث حركتها، إنها تأييد رب العالمين لنبيه سيد المرسلين تثبيتا ليقينه، وطمأنينة لقلبه، وقوة لإيمانه.

ولقد تعرضت هذه المعجزة منذ بدايتها الأولى لطعن المغرضين، وإنكار الطاعنين، وتشكيك المغالطين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وشبه الهالكين، وإلحاد المحرفين نيلا من حقائقها، وصدا عن سبيل شعائرها، متكئين في ذلك على محاولة الطعن في النصوص والأحاديث الواردة في هذه المعجزة، والتشكيك في ثبوتها وصحتها.

والحق الذي لا مراء فيه أن أحاديث الإسراء والمعراج أحاديث صحيحة متواترة، رواها أصحاب الصحيح والسنن والمسانيد بطرق صحيحة مختلفة متعددة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فمنها ما رواه ابن شهاب، ومنها ما رواه قتادة، ومنها ما رواه ثابت البناني، ومنها ما رواه شريك بن عبد الله، كلهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وسنكتفي بإيراد رواية من هذه الروايات حتى يكون القارئ متفهما لأحداث الإسراء والمعراج، ومشاركا لنا في رد افتراءات المغرضين والمشككين في السنة النبوية، فمن هذه الروايات ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة، أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء

الثانية، فاستفتح جبريل – عليه السلام – فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل:{ورفعناه مكانا عليا} [مريم:٥٧]، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلى ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يارب خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»([1]).

وقبل أن نذكر الاضطرابات المزعومة في روايات الأحاديث، نود أن نذكر رواية شريك بن عبد الله، والتي كانت محل هذه الادعاءات الباطلة.

فقد أورد البخاري في صحيحه الحديث الذي رواه سليمان عن شريك بن عبد الله، أنه قال: «سمعت ابن مالك يقول ليلة أسري برسول الله من مسجد الكعبة: أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب، محشوا إيمانا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده (يعني عروق حلقه) ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبا به وأهلا، فيستبشر به أهل السماء،

[1] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى السماوات وفرض الصلوات، (٢/ ٦٠٢)، رقم (٤٠٤).

لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلم عليه ورد عليه آدم، وقال: مرحبا وأهلا يا بني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى، من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحبا به وأهلا، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب، لم أظن أن ترفع على أحدا، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال يا محمد: ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يارب خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، فقال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام»([1]).

أما الاضطرابات التي يدعيها المغرضون بين الروايات، فإننا نقرر أنها ادعاءات باطلة، وسوف نفند هذه الادعاءات واحدة تلو الأخرى، في السطور التالية:

١ –لا اضطراب في تحديد وقت حادثة الإسراء والمعراج:

يوضح ذلك ابن القيم حيث يقول: "والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة"([2])، أما الأدلة التي يعتمد عليها القائلون بهذا الاضطراب، فإن ابن القيم قد عرضها ووضح زيفها، حيث قال: "وكان الإسراء مرة واحدة، وقيل مرتين: مرة يقظة، ومرة مناما، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك، وقوله: ثم استيقظت، وبين سائر الروايات. ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين، مرة قبل الوحي، لقوله في حديث

[1] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قوله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليما)، (١٣/ ٤٨٦)، رقم (٧٥١٧).
[2] –زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٣/ ٤٢).

شريك: «وذلك قبل أن يوحى إليه» ومرة بعد الوحي، كما دلت عليه سائر الأحاديث. ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده، وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل، الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات، جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا، فكيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي» ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا، وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رحمه الله"([1]).

أما السيوطي فقد علق على عبارة: (قبل أن يوحى إليه) التي وردت في رواية شريك، والتي استند إليها من يرى أن الحادثة حدثت قبل البعثة، وأن هناك اضطرابا في روايات الإسراء والمعراج فقال: "هذا مما أنكر على شريك في هذا الحديث، فإن المعروف أن الإسراء بعد البعثة، وفي تلك الليلة فرضت الصلاة، حتى تجاسر ابن حزم وادعى أن هذا الحديث موضوع، وانتقد على الشيخين حيث أخرجاه، وقد رد عليه ابن طاهر في جزء وقال: إن أحدا لم يتهم شريكا، بل وثقه أئمة الجرح والتعديل، وقبلوه واحتجوا به، قال: وأكثر ما يقال: إن شريكا وهم في هذه اللفظة، ولا يرد جميع الحديث بوهم في لفظة منه، ولعله أراد أن يقول: بعد أن يوحى إليه، فجرى على لسانه (قبل) غلطا، ومنهم من تأوله على أمر مخصوص؛ أي: قبل أن يوحى إليه فرض الصلوات، أو في شأن الإسراء، يريد: أنه وقع بغتة قبل أن ينذر به، وذكر الحافظ ابن حجر أن شريكا لم ينفرد بهذه اللفظة، بل تابعه عليها كثير بن خنيس عن أنس، أخرجه سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: وهو نائم؛ أي: أول ما جاءوه (يقصد الملائكة) كما صرح به في رواية ميمون بن سياه، وفيها (وكانت قريش تنام حول الكعبة) وقدم فيه شيئا وأخر، وزاد ونقص، وقد ساقه بلفظه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه"([2]).

وما قاله السيوطي من أن علماء الجرح والتعديل قد وثقوا شريكا هو أمر واضح يسهل الاستدلال عليه، وهاك أقوال العلماء فيه: قال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال أبو أحمد بن عدي: وشريك رجل مشهور من أهل المدينة ، حدث عنه مالك وغير مالك من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة فلا بأس بروايته، إلا أن يروي عنه ضعيف([3])

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن رواية شريك صحيحة ولا غبار عليها، وأن ما قاله شريك صحيح إذا فهمنا عبارته كما فهمها العلماء الشارحون، وأن المراد منها قبل أن يوحى إليه فرض الصلوات، وليس المراد أن الحادثة كانت قبل البعثة، ويؤيد ما ذهبنا إليه أقوال العلماء وأهل الجرح والتعديل الذين وثقوا شريكا وقبلوا روايته، كما يؤيد هذا القول الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء، والتي تساند رواية شريك.

أما إذا افترضنا جدلا أن شريكا قد وهم في هذه العبارة، فإن ذلك لا ينقص من قدره؛ فهو بشر، يجوز عليه ما يجوز على غيره من نسيان ووهم وخطأ، لكن هذا الفرض لا يجعلنا نرفض روايته بالكلية، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن حجر في الفتح، حيث قال: "قال ابن طاهر: وحديثه هذا رواه عنه ثقة، وهو سليمان بن بلال، قال: وعلى تسليم تقدير تفرده بعبارة: «قبل أن يوحى إليه» لا يقتضي طرح حديثه؛ فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث، ولا

---

[1] -زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٣/ ٤٢).

[2] -الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (١/ ١٩٨، ١٩٩).

[3] -تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (١٢/ ٤٧٧).

سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين"([1]).

٢ – ادعاء الاضطراب في كون الحادثة بالروح فقط أم بالبدن والروح معا، وفي كونها يقظة أو مناما:

لقد أجمع جمهور السلف على أن الحادثة كانت بالبدن والروح معا؛ لكثرة الأدلة على ذلك، وموافقة ذلك للعقل، لكن هناك من يرى أن الحادثة كانت بالروح فقط، ومنهم من يرى أنها كانت مناما، ومنهم من لم يفرق بين كونها بالروح أو بالمنام، وغير ذلك من الاختلافات.

وقد جمع القاضي عياض الأقوال في هذه المسألة، ورجح قول الجمهور بكون الحادثة قد حدثت بالجسد والروح معا، فقال: "اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وإلى هذا ذهب معاوية، وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه، وإليه أشار محمد بن إسحاق، وحجتهم قوله تعالى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} [الإسراء: ٦٠]، وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها: «ما فقدت جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه» ([2])، وقوله: «بينا أنا نائم»، وقول أنس: «وهو نائم في المسجد الحرام» وذكر القصة، ثم قال في آخره: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام».

وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة و ابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله عز وجل: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} [الإسراء: ١]، فجعل {إلى المسجد الأقصى} غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة، والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه. قال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ في المدح؛ ثم اختلفت هاتان الفرقتان هل صلى ببيت المقدس أم لا؟ ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه، وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان، وقال: والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا.

قال القاضي: والحق من هذا والصحيح إن شاء الله تعالى أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية، وصحيح الأخبار، والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة؛ إذ لو كان مناما لقال: "بروح عبده" ولم يقل: "بعبده"، وقوله تعالى{ما زاغ البصر وما طغى} [النجم:١٧]، ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به؛ إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث، من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس، أو في السماء على ما روى غيره، وذكر مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد، ولقائه بالأنبياء فيها، وخبرهم معه وترحيبهم به، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك، وفي بعض هذه الأخبار:

---

[1] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (١٣/ ٤٩٣).

[2] –ضعيف: أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية، (٢/ ٣٣). وفيه جهالة شيخ ابن إسحاق، وقد أورده ابن عبد البر في "الأجوبة المستوعبة"، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٣٤، ١٣٥، وقال عنه: لا يصح عنها، ولا يثبت قولها.

فأخذ (يعني جبريل) بيدي فعرج به إلى السماء إلى قوله: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، وأنه وصل إلى سدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره([1]).

قال ابن عباس: «هي رؤيا رآها، لا رؤيا منام...» وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فشرح صدري، ثم غسله بماء زمزم...، ثم أخذ بيدي فعرج بي»([2]). وعن أنس: «أتيت فانطلقوا بي زمزم، فشرح عن صدري...»([3])، وعن أبي هريرة «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه...»([4]).

هذه هي جملة الأقوال التي أثيرت حول تلك المعجزة وحقيقة أمرها: أهي بالروح فقط أم بالروح والبدن؟ وقد بين القاضي فيما قدمنا أن هناك ثلاثة آراء في ذلك، وبين أدلة كل فريق من هؤلاء الثلاثة، ثم رجح الرأي الذي يقول: إن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد، يقظة لا مناما، وبهذا يكون قد تم الجمع بين الأدلة الواردة في تلك المعجزة، وأنها على اختلاف ألفاظها لا تقدح في هذه الحقيقة، وهي أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح؛ ومن توهم التناقض بين الأحاديث، أو استند على هذا الاختلاف الظاهر في الروايات ليردها، فإنه توهم غير صحيح.

إذن جمهور العلماء سلفا وخلفا على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة بجسده وروحه، وهذا هو الذي يدل عليه قوله في مفتتح سورة الإسراء: (بعبده)؛ إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد.

وقد تواترت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها، وأنى هو؟! والأفعال التي حكاها النبي من شق الصدر، وركوبه البراق، وملاقاته الأنبياء، وفرض الصلاة عليه، وأن الله كلمه وغيرها، هذا مما يؤكد أنهما كانا بجسده الشريف وروحه، وينفي ما عدا ذلك([5]) وبما ذكرنا يرد على الذين يتوهمون تنقاضا بين أحاديث الإسراء والمعراج فيما يتعلق بذاتية صاحب الرحلة، ليردون الأحاديث كلها، ويرفضون الرحلة من أساسها، ولا حجة لهم فيما ذهبوا إليه لما ذكرنا من مناقشة الخلاف في ذلك، وما ذكرنا من ترجيحات يساندها القرآن الكريم، وتؤكدها وقائع الأحوال.

وقد رد د. سفر الحوالي أيضا على هذه الأقوال في شرحه للعقيدة الطحاوية، فقال: "القول المخالف للقول الصحيح، نقله ابن إسحاق في السيرة في أول الجزء الثاني من سيرة ابن هشام، نذكر كلام المصنف أولا، ثم نبين اللبس الذي حصل فيه، يقول: فقيل: كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده صلى الله عليه وسلم، نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية، ونقل عن الحسن البصري نحوه، وقد نقل كلام ابن إسحاق الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسير آية: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا}، ونقده وضبطه، ونقله أيضا الحافظ ابن كثير، ورجحوا مذهب جمهور السلف.

ونعود إلى التفصيل فنقول: من قرأ كلام ابن إسحاق لا يجد فيه جزما بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح أو بالجسد ، في اليقظة أو في المنام، بل قال: (والله أعلم أي ذلك كان)، والله قادر على أن يسري بنبيه في اليقظة أو في المنام، فالحقيقة أن ابن إسحاق نفسه متردد ولم يجزم.

---

[1] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ (١/ ٥٤٧)، رقم (٣٤٩).
[2] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)(٦/ ٤٣١)، رقم (٣٣٤٢). صحيح مسلم (بشرح النووي). إلى السماوات، (٢/ ٦٠٤)، رقم (٤٠٨).
[3] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى السماوات، (٢/ ٦٠٣)، رقم (٤٠٥).
[4] –صحيح مسلم (بشرح النووي)(٢/ ٦٢٤)، رقم (٤٢٣)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض، بيروت، د. ت، (١/ ١٨٧: ١٩١)
[5] –السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (١/ ٤١٠) بتصرف.

وثانيا: أنه لما نقل كلام من قال من السلف: إنه كان بالروح، نقل كلام معاوية وعائشة والحسن، فأما كلام معاوية فقال: روي عنه أنه قال: كانت رؤيا من الله صادقة، والجواب على ذلك من وجهين:

أولهما: أن هذا لم يثبت عن معاوية رضي الله عنه، ثانيهما: لو فرضنا ثبوته، فإنه لا ينفي أن تكون الرؤيا هذه هي إسراء ومعراج بالحقيقة بالروح والجسد؛ لأن عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن قد قال كما روى الإمام البخاري عنه في قول الله عز وجل: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} [الإسراء: ٦٠]، قال: «رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم»، يعني: ليست رؤيا منام، وإنما هي رؤيا عين، والرؤيا في كلام العرب تطلق على رؤيا العين، وإن كانت أكثر ما تطلق على رؤيا المنام، أما "الرؤية": فإنها هي التي بالعين، فابن عباس فسر ذلك بأنها رؤيا صادقة، وبأنها رؤيا عين، فلا يشترط في قول معاوية رضي الله عنه: «هي رؤيا صادقة» أنها مجرد منام.

وأما قول عائشة فقد قال ابن إسحاق: حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ذلك، يعني أن عائشة قالت: «ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، أي أن الإسراء كان بالروح فقط دون الجسد، وابن إسحاق يقول: حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول، إذا: في السند مجهول لا ندري من هو الذي حدثه، أثقة أم غير ثقة، فلا يصح عنها ذلك، وكذلك البيهقي رواه من طريق أخرى بنفس السند، قال: حدثني بعض آل أبي بكر، فلا ندري من هو هذا البعض، إذا لا نستطيع أن نقول: إن عائشة قالت ذلك.

وأما كلام الحسن البصري، فاستدل ابن إسحاق بكلامه في آية: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك}، ولم يأت أنه أنكر أن يكون الإسراء والمعراج حقيقة، وإنما قال الحسن في قوله تعالى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك}، رؤيا فتن الناس بها

إذا هذا الذي ذكره ابن إسحاق تفسير لكلام الحسن أن هذه رؤيا: أي في المنام، والحسن لم يقل ذلك؛ لأنه يمكن أن يحمل كلام الحسن على كلام ابن عباس، فتكون الرؤيا حقا ورؤيا عين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه، فالحقيقة أنه لا يثبت لدينا قول نعتمد عليه عن السلف في أن الإسراء والمعراج لم يكن بروحه وجسده معا، ثم إن هناك فرقا بين أن يقال: الإسراء كان مناما أو كان بالروح دون الجسد، فحتى القائلين بأن الإسراء لم يكن بالروح والجسد معا، قالوا: لا بد أن نفرق بين قول من يقول: إنه منام كما فهم ذلك بعض المتأخرين وبين قول الصحابة مثلا: إنه لم يفقد جسده، يقول: وبينهما فرق عظيم، فعائشة ومعاوية لم يقولا: كان مناما، هذا على فرض ثبوت القول، وإلا فهو لم يثبت، وإنما قالا: أسري بروحه ولم يفقد جسده، وهذا في الحقيقة إنما هو الرواية المروية المنقولة عن عائشة وحدها.

أما كلام معاوية فهو: كانت رؤيا من الله صادقة، ولم يقل لم يفقد جسده، وفرق ما بين الأمرين، فإنه إذا كان الإنسان نائما، فإنه قد يرى ما يراه أي النائم، وقد يكون ذلك أمثالا خيالية مضروبة للمعلوم المحسوس، فتضرب له الأمثال من غير الواقع في صورة محسوسة واقعية مشاهدة، فيرى مثلا كأنه قد عرج به إلى السماء، وذهب به إلى بيت المقدس، ثم رجع به إلى مكة يرى ذلك، وفي الحقيقة أن روحه لم تصعد ولم تذهب ولم تغادر، وإنما هذا مجرد تصوير أو تخييل حصل له أثناء النوم، ولم تذهب روحه، ولم تفارق الجسد لتذهب وتطوف في تلك الأماكن، وإنما هذا أمر تخيلته النفس والإنسان نائم في مكانه"([1]).

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن حادثة الإسراء والمعراج حدثت مرة واحدة يقظة بعد البعثة، ولم يأت دليل صحيح يثبت غير ذلك، بل إن الأدلة قد تعددت على ما رجحناه، وبه قال جمهور السلف وعلماء الأمة.

٣ –لا مانع من شق جبريل عليه السلام صدر النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة:

[1] –شرح العقيدة الطحاوية، سفر عبد الرحمن الحوالي، (١/ ١٨١٧: ١٨١٩).

إن استنكار وقوع حادثة شق صدر النبي ليلة الإسراء، والادعاء بأن ذلك يتعارض مع حدوث شق الصدر أثناء طفولة النبي وهو صغير في بني سعد استنكار باطل؛ لأنه لا مانع من حدوث الشق أكثر من مرة، فقد شق صدره وهو صغير، حيث جاءه جبريل وهو يلعب مع الصبيان فطرحه على الأرض، وشق صدره، فاستخرج منه علقة، فقال: «هذا حظ الشيطان منك»([1]) فالشق وقع في زمن الطفولة؛ لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

ثم وقع شق الصدر عند البعثة زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم ([2]).

ومن ذلك يتبين أن دعوى الاعتراض على مسألة شق صدر النبي وأنها لم تقع قبل الإسراء والمعراج دعوى خاطئة؛ لأن ذلك قد ورد بأدلة صحيحة في صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهما. وأيضا فإن شق الصدر في الطفولة وارد، صحيح ما ورد فيه؛ فلا إشكال.

٤ –لا اضطراب في تحديد مكان بداية الرحلة:

أما زعمهم أن اختلاف الروايات في ذكر المكان الذي نزل جبريل عليه السلام فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدأت منه الرحلة يكسب هذه الروايات تناقضا يؤدي إلى إبطالها وإنكارها، فهو ادعاء باطل غير صحيح.

قال الحافظ ابن حجر: "ومعلوم أنها لم تتعدد؛ لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها... والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته (وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه) فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق، وهذا يؤيد الجمع"([3]).

وإذا تأملنا كلام ابن حجر وجدنا أنه جمع بين الروايات جمعا مقنعا يرد به أقوال المغرضين الزاعمين حدوث التناقض بين الروايات، وبالتالي فلا تناقض في هذه الروايات في تحديد المكان الذي بدأت منه رحلة الإسراء والمعراج.

٥–ادعاء الاضطراب والتناقض بين الروايات فيما يتعلق بالتحديد الصحيح لأماكن الأنبياء ومنازلهم في السماء

لقد وقع في رواية شريك مخالفة في منازل الأنبياء عليهم السلام؛ حيث قال: كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة

بينما الموجود عند عامة أهل الحديث: أن في الأولى آدم، وفي الثانية يحيى وعيسى، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون، وفي السادسة: موسى، وفي السابعة: إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وشريك كأنه لم يضبط منازلهم، وقد وافقه في عدم الضبط الزهري عن أبي ذر؛ حيث قال أنس: «فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة...»([4]).

فهذا موافق لرواية شريك في أن إبراهيم في السادسة، بينما هو في السابعة بلا خلاف...

---

[1] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله إلى السموات، (٢/ ٦٠٣)، رقم (٤٠٦).

[2] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (٧/ ٢٤٤، ٢٤٥)

[3] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (٧/ ٢٤٣، ٢٤٤).

[4] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)(١/ ٥٤٧)، رقم (٣٤٩). صحيح مسلم (بشرح النووي)(٢/ ٦٠٢)، رقم (٤٠٤).

وورد عن علي رضي الله عنه أن إبراهيم في السادسة عند شجرة طوبى. ذكره الحافظ في الفتح([1]).

وأما ما ورد في رواية شريك: «وموسى في السابعة بفضل كلامه لله»، فإن هذا التعليق يدل كما يقول الحافظ على أن شريكا ضبط كون موسى في السابعة.

لذا نقول: عند من يرى تعدد المعراج مناما ثم يقظة فلا إشكال ألبتة، وأما مع الاتحاد، فقد جمع الحفاظ بين هذه الروايات، وعلى الأخص كون موسى في السابعة وإبراهيم في السادسة.

قال الإمام النووي: "فإن كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه، ويكون في كل مرة وجده في سماء، وإحداهما موضع استقراره ووطنه، والأخرى كان فيها غير مستوطن، وإن كان الإسراء مرة واحدة، فلعله وجده في السادسة، ثم ارتقى إبراهيم أيضا إلى السابعة. والله أعلم"([2])

وقال الحافظ ابن حجر: فمع التعدد لا إشكال، ومع الاتحاد فقد جمع بأن موسى كان في حالة العروج في السادسة، وإبراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة، وعند الهبوط كان موسى في السابعة؛ لأنه لم يذكر في القصة أن إبراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض الله على أمته من الصلاة، كما كلمه موسى، والسماء السابعة هي أول شيء انتهى إليه حالة الهبوط، فناسب أن يكون موسى بها؛ لأنه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات.

ويحتمل أن يكون لقي موسى في السادسة فأصعد معه إلى السابعة تفضيلا له على غيره، من أجل كلام الله تعالى، وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة... والعلم عند الله تعالى([3])

والذي يدل من سياق الروايات أن شريكا ليس هو الذي لم يضبط الأماكن، ففي رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: "ولم يثبت أي أبو ذر كيف منازلهم"([4]) فنقله أنس كما ذكره أبو ذر، لكن رواية قتادة عن أنس عن مالك هي الآكد ووافقها الكثير؛ فهي المقدمة. والله أعلم"([5])

٦ –ادعاء الاضطراب في تحديد آخر ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء في سدرة المنتهى

لقد زعم بعضهم أن هناك تناقضا بين الروايات فيما يتعلق بآخر مكان انتهى إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد لقائه بالأنبياء في السموات السبع، مستدلين على ذلك بأنه بعد أن لقي موسى في السماء السابعة على رواية شريك قال الراوي: «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى»، وفي رواية أنس عن مالك بن صعصعة: «ورفعت إلى سدرة المنتهى». ومع هذا فقد جاء في حديث آخر عن ابن مسعود قال: «لما أسري برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض... فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها»([6]).

---

[1] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١/ ٥٥٠، ٥٥١).

[2] –شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (٢/ ٦١٦).

[3] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١٣/ ٤٩١)

[4] صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، (١/ ٥٤٧)، رقم (٣٤٩).

[5] –مكانة الصحيحين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٤٣٥: ٤٣٧.

[6] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: في ذكر المعراج، (٢/ ٦٢٩)، رقم (٤٢٤).

وهذه الروايات تفيد نتيجتين: الأولى: أن سدرة المنتهى في السماء السابعة، والثانية: أنها في السماء السادسة، وهذا في ظنهم تناقض يرد ما ورد في شأن المعراج كله.

"قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح، وقول الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قال النووي: ويمكن أن يجمع بينهما، فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم، وقد قال الخليل: هي سدرة في السماء السابعة، قد أظلت السموات والجنة... ومقتضى خروج النهرين الظاهرين: النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى أن يكون أصلها في الأرض"([1]).

وقال ابن حجر: "ولعل في السياق تقديما وتأخيرا، وكان ذكر سدرة المنتهى قبل، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله... ويحتمل أن يكون المراد بما تضمنته هذه الرواية من العلو البالغ لسدرة المنتهى صفة أعلاها، وما تقدم صفة أصلها"([2])

وقال القاري: "يمكن الجمع بأن مبدأها في الأرض، ومعظمها في السماء السادسة، وانتهاءها ومحل أثمارها، وغشيان أنوارها في السماء السابعة، ويؤيده قوله: "إليها أي: إلى السدرة ينتهي ما يعرج به من الأرض" بصيغة المجهول، وكذا قوله: «فيقبض منها» أي: تقبضه الملائكة الموكلون فيها بأخذ ما صعد به من الأعمال والأرواح إليها "وإليها ينتهي ما يهبط أي: ينزل من فوقها فيقبض منها" أي: فيقبضه من أذن له، وإيصاله إلى من قضي له به"([3]).

ونقول كما قال أهل العلم: إن سدرة المنتهى في السماء السابعة، وهي آخر ما ينتهي إليه علم الخلائق كلها، ويكون النبي قد رفعه الله إليها؛ إذا لا وجه لتناقض الأحاديث مع بعضها بشأن وصوله إلى السماء السابعة وسدرة المنتهى.

٧ –لا تعارض بين قول الله تعالى في الحديث: «لا يبدل القول لدي» وبين طلب موسى من محمد عليهما الصلاة والسلام الرجوع لله عز وجل لطلب التخفيف:

أما طعنهم في بعض الأحداث التي وردت في أحاديث المعراج، مما يبنون عليها زعمهم في رد أحاديث المعراج أو بعض رواياتها، ومن ذلك تساؤلهم: كيف يصح عن موسى عليه السلام أن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى ربه ليطلب منه التخفيف بعد أن يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: «لا يبدل القول لدي»؟ زاعمين أن ذلك يتنافى مع كون حكم الله لا يبدل.

وهؤلاء يرد عليهم بما رواه الإمام البخاري من حديث ابن شهاب عن أنس عن أبي ذر، والذي جاء فيه: «فراجعته، فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي...»([4]) الحديث.

قال ابن حجر: "وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا خمسا، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها... وأبدى ابن المنير هنا نكتة لطيفة في قوله صلى الله عليه وسلم لموسى لما أمره أن يرجع بعد أن صارت خمسا، فقال: "استحييت من ربي" قال ابن المنير: يحتمل أنه تفرس من كون التخفيف وقع خمسا خمسا أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسا لكان سائلا في رفعها، فلذلك استحيى... ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء أن العشرة

---

[1] –انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (٢/ ٦٣٠).
[2] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١٣/ ٤٩١).
[3] –شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ملا علي القاري، (١/ ٣٩٣)، أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج، د. سعد المرصفي، الكويت، ط١، ١٩٩٤م، ص٥٧.
[4] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)(١/ ٥٤٧، ٥٤٨)، رقم (٣٤٩). صحيح مسلم (بشرح النووي)(٢/ ٦٠٤)، رقم (٤٠٨).

آخر جمع القلة، وأول جمع الكثرة، فخشي أن يدخل في الإلحاح في السؤال، لكن الإلحاح في الطلب من الله مطلوب، فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر"([1]).

إذن موسى طلب بالفعل من محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه أن يخفف عنه أقل من خمس صلوات، وذلك في آخر مرحلة أتى منها رسول الله من عند ربه، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلب طلب موسى حياء من الله لكثرة الطلب، وأنه لو طلب منه بعد ذلك فمعناه أنه يطلب من الله أن يسقطها بالكلية، فقول موسى عليه السلام لم يرد به أن لا يقع أمر الله، بدليل أن أمر الله وقع، ولا حجة في ذلك لإنكار الحديث أو التشكيك فيه؛ لتواطؤ الروايات على خلافه، فقد ذكرنا ما يؤيده من روايات.

ثانيا. لقد ذكر القرآن أحداث المعراج، ولا تناقض بين روايات أحاديث الإسراء والمعراج وبين القرآن الكريم:

لم يكتف القرآن بذكر الإسراء، وإنما ذكر المعراج أيضا في سورة من القرآن، ألا وهي سورة النجم، قال الله تعالى: {والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)}.

يقسم تعالى بالنجم (جنس النجم)، أي يقسم سبحانه بكل النجوم، هذه المخلوقات العظيمة، يقسم بها على عصمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ما ضلّ، وما حاد عن طريق الحق في أقواله وأفعاله، وأنه ما غوى؛ أي: ما جهل، ولا كان رأيه مجانبا للصواب، وأنه لا ينطق عن هوى نفسه، وإنما بوحي الله إليه، يأتيه بهذا الوحي ملك شديد قوي، يستطيع أن يقوم بكل ما كلفه الله به، ملك (ذو مرّة)، أي: صاحب قوة ذاتية، فإذا فعل شيئا أحكمه، ولقد (استوى) هذا الملك لمحمد، أي: ظهر له على حقيقته، {وهو بالأفق الأعلى}؛ أي: ظهر جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان جبريل جهة العلو، ثم اقترب جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب إليه من مقدار قاب قوسين ، أي: قريبا منه قرب الجليس لجليسه، فبلغ جبريل رسول الله محمدا ما شاء الله تعالى أن يوحيه إليه، ورسول الله محمد يرى جبريل رؤية صادقة دون شك أو جهل، وبكّت تعالى المشركين على تكذيبهم رسوله فقال: {أفتمارونه على ما يرى} أي: تجادلون محمدا فيما رآه بعينه؟ والله، لقد رأى محمد جبريل مرة أخرى، وذلك عند سدرة المنتهى، هذه التي في العالم العلوي، عندها جنة المأوى، وهوﷺ في هذه المكونات ثابت مطمئن، يفهم الأمور على حقيقتها، فما اضطرب ولا اعترته المخاوف: {ما زاغ البصر وما طغى} وهكذا تبين هذه الآيات أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرج به إلى السماء، إلى سدرة المنتهى، وجنة المأوى، ورأى جبريل على صورته التي خلق عليها، وكل ذلك في المعراج[2]

إن ما ورد من أحاديث يتحدث فيها النبي عن الآيات التي رآها في تلك الرحلة إنما هي تفسير لقوله تعالى: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}، وذكر الإمام ابن كثير أن النبي قد رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مرتين: الأولى: عقب فترة الوحي، والنبي نازل من غار حراء، فرآه على صورته، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه، وأوحى إليه من الله، وإليه أشار الله بقوله: {علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا

[1] -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١/ ٥٥١، ٥٥٢).
[2] -دفع الشبهات عن السنة والرسول، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٠٩، ١١٠.

فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠)}، والثانية: ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، وهو المشار إليها في هذه السورة أيضا بقوله: {ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤)} [1].

ولا شك عند من له ذوق سليم، أن هذه الآيات الكريمة آيات سورة النجم السابقة تدل على أن النبي أسري به إلى بيت المقدس، وأنه عرج به إلى السموات العلا بجسمه وروحه، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، فلتنظر أيها الطاعن معنا إلى قوله عز وجل: {أفتمارونه على ما يرى}، ثم قل لنا بعد ذلك ماذا ترى؟ أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا في رؤيا منامية؟ وهل يكون في رؤيا الروح وحدها في النوم جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل والسامع، حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك المجادلات، وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم([2])؟

وقد أجمع المفسرون قاطبة أن هذه الآيات التي في سورة النجم إنما هي بشأن معراج النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله قد أقسم بالنجم إذا هوى على أن النبي صادق فيما يبلغ من الوحي، وما هو إلا وحي يوحى، وأقسم على صدقه فيما رأى في السموات العلا؛ حيث رأى جبريل على صورته الحقيقية، ورأى من آيات ربه الكبرى، وأقسم أنه ما كذب فؤاده فيما رآه.

لكن الله حكيم في أفعاله وأقواله، فلم يذكر المعراج مع الإسراء في موضع واحد؛ وذلك لحكمة إلهية بالغة؛ حيث إن المشركين والمخالفين سوف ينكرون ذلك كله، إذا ما حدثهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوف يهزءون برسول الله من أجله، وقد حدث هذا.

أما الإسراء فإنه أحرى بتصديق قوله إذا كذبوه، بأن يذكر لهم بيت المقدس ووصفه، وتكون له الحجة، وهذا قد كان، وأما المعراج، فبماذا يرد كذبهم إذا كذبوه، وبماذا يؤيد قوله؟ فلو نعت لهم السماء، وما رأى فيها، ما كان في ذلك مقتنع لهم، ولا حجة عليهم؛ لأنهم لا يعرفون ما هنالك، فكان من الحكمة البالغة أن يذكر في سورة الإسراء التي تتلى على المشركين المعاندين الإسراء دون المعراج.

على أن الإسراء إلى بيت المقدس كان مقدمة للمعراج، ولهذا قد يكون من الجائز المناسب المعهود أن يذكر الإسراء دون المعراج؛ لأنه إذا ذكر الإسراء علم أنه يعني ما بعده، وهو المعراج، ولهذا يذكر كثير من المؤلفين المعراج في باب الإسراء، والقرآن يقول: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا} فهذه الآيات هي الآيات التي رآها في المعراج، فأشار إلى المعراج بما وقع فيه من الآيات والعجائب، وليس بلازم ذكره نصا، ثم إن المعراج قد ذكر في سورة النجم، فذكر الإسراء في سورة، والمعراج في سورة أخرى، وليس في هذا شيء من الغرابة([3]).

وبهذا فلا معارضة بين ما جاء في السنة بشأن المعراج وبين الآيات التي رآها النبي في تلك الرحلة العظيمة، وما جاء في القرآن بأنه أغفل ذكر المعراج؛ إذ إن هذا غير صحيح؛ لأن القرآن ذكر المعراج وجهر به في سورة النجم، ونوه به تنويها بينا، يبين فيها مصداقية محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى في تلك الليلة المباركة.

---

[1] -تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٤/ ٢٥١: ٢٥٣) بتصرف.

[2] -محمد المثل الكامل، أحمد جاد المولى، تحقيق: عبد الرحيم ماردينى، مكتبة دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٦، ١٣٧ بتصرف.

[3] -مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٥٤ بتصرف.

ما أخبر عنه الرسول مما شاهد في رحلتي الإسراء والمعراج لا يتعارض مع القرآن في أنه لا يعلم الغيب إلا الله:

يدّعي قوم أن ما في الجنة من نعيم، وما في النار من جحيم غيب لا يعلمه أحد إلا الله، فكيف تأتي أحاديث كأحاديث الإسراء والمعراج وتخبر عن بعض الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، كالمشاهد التي شاهدها النبي في رحلة المعراج؛ إذ رأى مثلا الذين يأكلون الربا يوطئون بالأقدام، فلا يستطيعون القيام، ورأى الزناة يتركون لحما طيبا ويأكلون لحما خبيثا، وأنه أتى على واد فوجد فيه ريحا باردة كريح المسك، وقيل هذا صوت الجنة، وعلى العكس بالنسبة إلى النار وغيرها؟

وهؤلاء نقول لهم: صحيح ما تقولون: إنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأيضا صحيح ما عندنا من أحاديث وآثار تفيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخبر بأشياء من أمور الغيب فوقعت، ولكن المشكلة عندكم أنكم ما استنطقتم ما ورد في الغيب من أدلة القرآن والسنة استنطاقا بينا، بل اقتطفتم من ذلك ما تؤيدون به طعونكم في الإسلام، ولا قبل لكم به.

وكما قلنا سابقا: إن حديث الإسراء والمعراج صحيح ومتواتر عن أكثر من عشرين صحابيا، رواه أئمة الحديث الكبار في كتبهم كالبخاري ومسلم، وطالما أن الحديث صحيح فيجب اعتقاد كل ما فيه أنه حقيقي، وقد تحدثت أحاديث المعراج من بداية أمرها عن الغيب، فهي من أول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل» فهو غيب، إلى أن رجع من تلك الرحلة.

أما الذين في قلوبهم زيغ ما انصاعوا لتصديق القصة، فطلبوا دليلا من عند أنفسهم يثبت لهم ما قد رآه، فطلبوا أن يصف النبي لهم بيت المقدس، فعرضه الله أمامه ولم يكن قد رآه جيدا لظلام الليل فوصفه لهم، وهذا دليل عالم الشهادة على عالم الغيب، لكن الذين يربطون بين العقيدة والتكذيب فهم قوم مغالطون في الحقيقة؛ لأنهم ما أيقنوا صحة الاعتقاد؛ فغلب عليهم التكذيب، إنهم ما زالوا يعتقدون أن محمدا ليس بنبي؛ لأنهم لو أدركوا ذلك لعلموا أن الحقيقة مزهود فيها لدى كل حسود.

ونتبع كلامنا هذا سؤالا وهو: هل لما رآه النبي دليل إذن من الله؟ نعم إن الغيب لا يعلمه إلا الله قال سبحانه وتعالى: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} [النمل: ٦٥]، وقال سبحانه وتعالى: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} [لقمان:٣٤]، ولكن سبحانه وتعالى قال: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧)} [سورة الجن].

قال القرطبي: " {إلا من ارتضى من رسول] فإنه يظهر على ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات، وفي التنزيل حكاية عن عيسى عليه السلام: {وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم} [آل عمران: ٤٩]... وقال العلماء: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم دلالة صادقة على نبوتهم"([1]).

قال الشعراوي: "وقد يكرم تعالى بعض خلقه، ويطلعه على شيء من الغيب، ومن ذلك الغيبيات التي أخبر بها النبي دون أن يكون لها مقدمات توصل إليها، فلا بد أنها أتته من وحي القرآن كما قال تعالى: {الم (١) غلبت الروم

[1] -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١٩/ ٢٧، ٢٨).

(٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤)} (الروم)" ([1])، وبناء على هذه الآية، وهي قوله عز وجل: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول}، فالله سبحانه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه، إلا ما شاء أن يطلعه، يستوي في ذلك من اصطفاه من الملائكة، ومن اصطفاه من الناس، ومن أطلعه الله على بعض الغيب فإنه يرزقه من يحفظه من الملائكة، بحيث لا تستطيع الشياطين أن تتعرض له.

وهذه الآية واضحة في أن الله يطلع من شاء من رسله على بعض الأمور الغيبية، وعليه فلا غرابة في إخبار رسول الله بشيء من الغيبيات، فإن هذا مما أطلعه الله عليه وأعلمه سبحانه وتعالى به، ومعنى الآية أن من أطلعه الله على بعض الغيب من رسله فإنه سبحانه وتعالى يرزق هذا الرسول من يحفظه من الملائكة، ولما كانت السنة فيها كثير من أمور الغيب، فإن هذا يدل على حفظ الله لها.

وقد سجل القرآن شيئا من ذلك في شأن عيسى بقوله عز وجل: {وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم} إن إخباره بما هو غيب يحدث بعيدا عنه، يحدث في بيوتهم، آية عظيمة أعطاها الله له؛ لتهتدي بها القلوب السليمة، وكذلك رسول الله أعلمه الله الكثير من الأمور الغيبية، آيات بينات تنطق بنبوته ورسالته، وتزيد المؤمنين إيمانا وهدى، وهناك آية أخرى تؤيد ذلك وهي قوله عز وجل: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} [البقرة: ٢٥٥]. فإنه تعالى أحاط بكل شيء علما، أما الخلق فإنهم لا يعلمون شيئا من معلوماته تعالى، إلا بالقدر الذي أراد عز وجل أن يعلمهم إياه.

وبهذا نفيد أن الله يطلع رسوله على ما شاء من علوم وغيبيات، وهي من فضل الله على رسوله، معجزة له، ودلالة صادقة على نبوته صلى الله عليه وسلم ([2]) يستفاد من ذلك أن ما أنبأ به الرسول من أمور غيبية حدثت أو ستحدث ماضية أو مستقبلية إنما هي بما علمه الله إياه، بما دلت عليه الآيتان الكريمتان السابقتان، فإن كان علم الغيب مستأثرا به الله وحده، فلا ينفي هذا أن يطلع من يشاء من رسله على ما يشاء من غيبيات، وهذا من استئثاره أيضا بعلم الغيب.

نقول إذن للمعترضين على ما جاء في أحاديث المعراج من غيبيات، وأن هذا ليس لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن ساغ لكم تكذيب القرآن وعدم الاقتناع به وقد بينا لكم دليل الإذن في إعطاء الله الغيب لمن يشاء من عباده فارفضوا السنة وما جاء فيها من أمور غيبية!! وإلا فابحثوا عن قلوبكم؛ فإنها وقعت في غارة المغالطة والتكذيب دون حجة أو تأويل.

ثالثا. لا تعارض بين هذه الروايات وبين العقل:

لا تعارض بين الروايات الواردة في الإسراء والمعراج، وما جاءت به من حقائق عن البراق وعن أهل الجنة وأهل النار، وغير ذلك من الغيبيات، وبين العقل، إنما يكون التعارض عندما يكون العقل مكلفا بالبحث في هذه الأمور، ثم تأتي هذه الأمور مخالفة لمقتضيات العقل، فما دام العقل لم يكلف بالبحث في هذه الأمور فلا تعارض إذن، فالله قد خلق الإنسان وأودع فيه نعمة العقل؛ كي يبحث في العالم المشاهد ويكتشف أسراره، ويعمر الكون، ويهتدي به إلى ما يصلحه، ويبتعد به عما يفسده، أما الغيبيات فليس لنا إلا أن نسلم بما جاء به الوحي مخبرا عنها، وليس لنا أن نتوصل بالعقل المختص بالمشاهدات والحسيات إلى مسائل الغيب، أو نختلف في تصوراتنا عنها دون الرجوع إلى الوحي المتمثل في الكتاب والسنة.

---

[1] -تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، مصر، د. ت، (١٧/ ١٠٨٣٤).

[2] -أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٤١، ٤٢.

فلا يمكن إذن أن نعتبر العقل أصلا للنقل، أو نحكمه في مسائل الغيب قبولا ورفضا، والإمام ابن تيمية يوضح ذلك في رده على من قال: (إن العقل أصل للنقل)، فيقول: "إما أن يريد به:

- أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر.
- أو أنه أصل في علمنا بصحته.

والأول لا يقوله عاقل، فإن ما هو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت، سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته، أو لم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره؛ إذ عدم العلم ليس علما بالعدم، وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسنا؛ فما أخبر به الصادق المصدوق هو ثابت في نفس الأمر سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه، ومن أرسله الله إلى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا، وما أخبر به فهو حق وإن لم يصدقه الناس، وما أمر به عن الله فالله أمر به وإن لم يطعه الناس، فثبوت الرسالة في نفسها، وثبوت صدق الرسول، وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر ، ليس موقوفا على وجودنا، فضلا عن أن يكون موقوفا على عقولنا، أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا، وهذا كما أن وجود الرب وما يستحقه من الأسماء والصفات ثابت في نفس الأمر، سواء علمناه أو لم نعلمه.

فتبين بذلك أن العقل ليس أصلا لثبوت الشرع في نفسه، ولا معطيا له صفة لم تكن له، ولا مفيدا له صفة كمال؛ إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم، تابع له، ليس مؤثرا فيه.

فإن العلم نوعان:

أحدهما: العملي، وهو ما كان شرطا في حصول المعلوم، كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله، فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه.

والثاني: العلم الخبري النظري، وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به، كعلمنا بوحدانية الله تعالى وأسمائه وصفاته، وصدق رسله، وبملائكته، وكتبه وغير ذلك، فإن هذه المعلومات ثابتة، سواء علمناها أو لم نعلمها، فهي مستغنية عن علمنا بها، والشرع مع العقل هو من هذا الباب، فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه، وإلى أن نعلمه بعقولنا؛ فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالما به، وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به، وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا"([1]).

فمما سبق من كلام ابن تيمية يتضح لنا أن من أنكر الغيبيات التي أخبر الوحي بها بحجة أنها لا تتفق مع العقل يخرج عن دائرة العقلاء.

١ –فإنكار البراق الذي أخبر به النبي في الأحاديث الصحيحة التي أوردها البخاري ومسلم، بحجة أن الله كان قادرا على نقل نبيه بأيسر من تلك الطريقة، كما نقل عرش بلقيس في طرفة عين نقول: إن من أنكر البراق لهذه الحجة فقد حكم العقل وجعله أصلا للنقل (الوحي)، وأخرج العقل عن مناط تكليفه، وحمله ما لا يحتمل، وكان واجبا عليه ألا يقحم نفسه فيما لم يكلف به، وأن يصدق بما أخبر به الوحي من غيبيات لا نملك أمامها إلا التصديق، كما أن من أنكر البراق لهذه الحجة، إنما هو مخطئ من جهة أخرى، وهي أن السنة الإلهية قد اقتضت إقرار قانون الأسباب والمسببات، فليس لنا أن نعترض على بعض الأمور بحجة أن الله كان قادرا على كذا أو كذا، فالله كان قادرا على أن يسقط الرطب

[1] –درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (١/ ٨٧: ٨٩).

من النخل لمريم دون أن تهز الجذع، كما أنها غير قادرة على هز الجذع وقت المخاض، ولكن الله قد أراد من هذا إقرار قانون الأسباب والمسببات، وأن لكل مسبب سببا تسبب في حدوثه، والله لم يكلف مريم عليها السلام ما لا تحتمله ولا تطيقه، فالله قد ضمن لها الرزق، لكنه أمرها بالسعي إليه ولو بجهد يسير، وإنك لتعجب حقا عندما تعلم أن الجذع كان يابسا، فلما هزته مريم أحياه الله من مواته، فقد قال القرطبي في تفسيره تعليقا على هذه الآية: "واستدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما؛ فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز"([1]).

وإذا تأملنا الكون كله سنجد أن قانون الأسباب والمسببات مطرد رغم قدرة الله على خرقه كما يحدث في معجزات الأنبياء فوجود النهار مثلا مرتبط بطلوع الشمس، ووجود الليل مرتبط بغيابها، وغير ذلك من الأمثلة التي لا حصر لها.

فمن كل ما سبق نؤكد على أن من أنكر الغيبيات بحجة أنها تتعارض مع العقل، أو أن الله كان قادرا على كذا وكذا، فقد خرج عن حدود العقلاء، ويدخل في ذلك من أنكر أحاديث الإسراء والمعراج؛ لأن فيها ذكرا لاستفتاح جبريل لأبواب السماوات السبع، والادعاء بأنه لا توجد أبواب صلدة في السماوات لكي يدقها جبريل، فهذا كله خوض في مسائل غيبية لا نعلم عنها شيئا إلا ما أخبرنا به الوحي، وتحكيم العقل في مثل هذه المسائل يؤدي إلى الوقوع في الضلال، والابتعاد عن طريق الهدى والصراط المستقيم.

و٢ –كذلك من يعترض على الحوار الذي حدث بين جبريل وملائكة السماء، وقولهم له: «من معك؟»، وكان ينبغي أن يقولوا له: (هل معك أحد؟)، فما الذي يعلمه هذا المتقول عن علم الغيب، وبأي شيء فرض على الملك أن يقول شيئا ولا يقول شيئا آخر؟ إنه اعتمد في ذلك على عقله، ونسي أن العقل ليس مؤهلا للبحث في الغيبيات.

أما إنكار بعض المغرضين لهذه الأحاديث بحجة أن العقل لا يتصور محمدا ذاهبا وعائدا؛ استجابة لما أشار عليه به موسى عندما قال له: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، ويرون أن هذا الفعل قد لا يحدث من الابن المطيع لأبيه، فكيف يتصور حدوثه من محمدﷺ لموسى عليه السلام، نقول: إن هذا السلوك ليس بمستغرب من الابن المطيع لأبيه، ولكنه مستغرب في نظر هؤلاء المغرضين لسوء أخلاقهم، ونشأتهم على الأخلاق الفاسدة، وإذا افترضنا جدلا أن ذلك السلوك مستغرب من الابن المطيع لأبيه، فإنه ليس مستغربا من محمد صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السلام لأنه يفعل ذلك حرصا على أمته وخوفا عليهم وإشفاقا بهم، وما دام أن الذي أشار به موسى فيه الخير لأمته، فهو لا يجد غضاضة في أن يبذل كل الخير لهم، بل إن النبي ما توقف عن الرجوع لربه بعد آخر رجعة إلا لأنه استحيى من ربه، ولولا ذلك لرجع إليه مرة أخرى، وكيف نستغرب ذلك من النبي وقد زكاه الله فقال: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [التوبة:١٢٨]، وقال سبحانه وتعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب: ٦]، فهذا كله يدل على مدى حرصه وشفقته بأمته صلى الله عليه وسلم، وهذا كله يبطل مزاعم هؤلاء المغرضين.

٣ –أما إنكار هذه الأحاديث لأنها تثبت رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة بالأرض، فقد أجاب ابن حجر عن ذلك، وأزال الإشكال المتوهم في المسألة، فقال: "وقد استشكل رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض، وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم، أو أحضرت أجسادهم لملاقاة

[1] –الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١١/ ٩٥).

النبي تلك الليلة تشريفا له وتكريما، ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس، ففيه: «وبعث له آدم، فمن دونه من الأنبياء» فافهم"([1]).

وكذلك لا منافاة بين صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس إماما ورؤيته لهم في السماء:

لقد كانت صلاة النبي بالأنبياء في بيت المقدس للإعلان عن إمامته على كل إخوانه من الأنبياء، وأن أمته أول الأمم دخولا الجنة، إلى غير ذلك، وللعلماء في صلاة النبي بالرسل جميعا في بيت المقدس، ثم رؤيته لهم في السماء ثلاثة تفسيرات:

الأول: أن يكون الذي رأى هي الأرواح، رآها في بيت المقدس، ثم عرج بها إلى السماوات فرآها هناك.

الثاني: أن يكونوا مثلوا له تمثيلا، فرآهم وخاطبهم وخاطبوه.

الثالث: أن يكون الله خلق له صلى الله عليه وسلم أشخاصهم، فرآهم في السماء وفي الأرض لحكمة بالغة([2])

وهناك رأي ذكره المفسرون يقوي ما ذكر في الحديث من مقابلة النبي للرسل السابقين في بيت المقدس، وصلاته بهم إماما: وهو ما ذهب إليه قتادة، وكذلك عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن قوله سبحانه وتعالى: {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون} [الزخرف:٤٥] نزلت بالمسجد الأقصى([3]).

قال الإمام الشعراوي: "وإذا استقرأنا القرآن فسوف نجد فيه ما يدل على صدق رسول الله فيما أخبر به من لقائه بالأنبياء، نجد فيه ما يدل على صدق رسول الله فيما أخبر به من لقائه بالأنبياء في هذه الرحلة، قال عز وجل {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا}، والرسول إذا أمره ربه أمرا نفذه، فكيف السبيل إلى تنفيذ هذا الأمر، واسأل من سبقك من الرسل؟ لا سبيل إلى تنفيذه إلا في لقاء مباشر ومواجهة، فإذا حدثنا بذلك رسول الله في رحلة الإسراء والمعراج نقول له: صدقت، ولا يتسلل الشك إلا إلى قلوب ضعاف الإيمان واليقين"([4]).

وبما بينا يتضح لنا بطلان زعم الذين لا يتصورون بعقولهم اللقاء بين النبي مع الأنبياء السابقين في الأرض ببيت المقدس وفي السماء، وذلك بما أوردنا من تفسير العلماء لهذا اللقاء بالأقوال الثلاثة السابقة، أو بالدليل القرآني في أمر الرسول بسؤال الأنبياء.

٤ – دعواهم أن الحكمة والعلم معان، فكيف توضع في الطسوت؟

والرد على تلك الفرية يكون من وجهة نقلية واحدة، وهي أن الله يوم القيامة سوف يجعل أعمال الإنسان توضع في الميزان وتوزن، وهذا يدل على أنها ستحول إلى ماديات (وهي معان) لتوضع في كفتي الميزان، قال الله عز وجل: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون} [المؤمنون:١٠٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»([5]).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيذبح وهم ينظرون...»([6]) فإذا كانت الأعمال وهي معان ستوزن يوم القيامة في كفتي الميزان، وكذلك الموت الذي هو

---

[1] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (٧/ ٢٥٠

[2] –مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٥٦ بتصرف.

[3] –التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ت، (١٢/ ١٥٧).

[4] –تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، مصر، د. ت، (١٣/ ٨٣٣١).

[5] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، (١١/ ٢١٠)، رقم (٦٤٠٦).

[6] –صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (بشرح تحفة الأحوذي)، (٧/ ٢٣٤)، رقم (٢٦٨٣). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٥٥٨).

معنى غير محسوس في ذاته سيكون كالكبش يوم القيامة، وسيوقف بين الجنة والنار، ويراه أهلوهما؛ فلا يوجد أي مانع يمنع من أن توضع الحكمة والعلم في طست، ويفرغ في قلب النبي صلى الله عليه وسلم بعد شقه.

وقد تمكن العلماء في هذا الزمان من تفتيت الذرة، ترى ما الذي حصلوا عليه حين تفتت الذرة؟ إنهم قد حصلوا على طاقة، وقد تلاشت المادة، والطاقة في حقيقة أمرها معنى، أو ما يشبه المعنى، تأتلف منها المادة وتتكون، وربك الذي خلقها قادر على أن يحولها إلى طاقة، ثم هو يقدر على أن يحول الطاقة إلى مادة([1])

إذن هذه الفرية ردت بما ورد مما سيحدث يوم القيامة من وزن الأعمال في كفتي الميزان، وهما مادة، فيتعين أن تكون تلك الأعمال مادة، وكذلك الموت الذي يكون على هيئة كبش، وسيذبح بين الجنة والنار، والذبح مادة محسوسة، ووضع الحكمة والعلم في قلب النبي من هذا الباب، ولا يتعارض مع قوانين مصداقية العقل القاصر.

٥ –بطلان دعوى استحالة رفع النبي صلى الله عليه وسلم للسماوات؛ لانقطاع الهواء في طبقات الجو العليا.

إن احتجاج القوم بما توصلوا إليه من نظريات حديثة، وأن الهواء يفقد بعد أميال فوق الأرض، ولا يمكن أن نعيش فوق منقطع الهواء، وهذه الفرية التي يعترض بها القوم غير مصدقين للقرآن أو السنة في إثبات تلك الرحلة، لا نرد عليهم بأن الطفل يعيش في بطن أمه بعيدا عن الهواء، والأسماك تعيش في البحار، ولا تحتاج إلى ما يحتاج إليه حيوان البر من الهواء والتنفس، بل نرد عليهم من وجهة نظر واحدة، وهي أن يونس عليه السلام قد التقمه الحوت، وغاص به في البحر، وأصبح في ظلمات ثلاث؛ فظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فكيف أوصل الله إليه الهواء لو كانت المسألة عقلية وهو في تلك الحالة؟ فإذا كان الهواء ينقطع في طبقات الجو العليا، فأين الهواء في قلب البحار العميقة؟ وهذا بشر، وذاك بشر.

ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم لما صعد به إلى السماء فإنه لا محل هنا لقضية من متطلباتها أشياء مثل الطعام والشراب والتنفس، ثم إن الله قد ذكر رفعه لعيسى عليه السلام إلى السماء، وجاء الخبر بنزوله في آخر الزمان، فعلام الاعتراض، ورافع محمد هو رافع عيسى عليهما السلام؟!

وقد ذكر أن فقراء الهند يروضون أنفسهم على أشياء معينة؛ فيأتون بالعجائب، وقد روت عنهم الصحف أن الواحد منهم يلقى في قارورة وضع فيها الزيت فيقفل عليه ويحكم القفل؛ بحيث لا يجد الهواء إليه سبيلا، فيبقى في ذلك أسابيع، ثم يخرج حيا، وروى الشيخ محمد رشيد رضا: أن واحدا من هؤلاء سدت جميع المنافذ في جسمه التي يدخل منها الهواء بالقطن، ثم وضع في صندوق وقفل وأحكم قفله، ثم دفن في الأرض فظل أربعين يوما كذلك، ثم أخرج حيا على أعين طائفة من الزعماء والأطباء. فكيف يعجز الله عن مثله([2])؟!

رابعا. لا يوجد في أحاديث الإسراء والمعراج ما يلحق النقص بذات الله سبحانه وتعالى أبدا:

لقد ادعى بعض المغرضين أن في أحاديث الإسراء والمعراج عبارات تلحق بالله التشبيه والتمثيل، وذلك كما في رواية شريك بن عبد الله عن أنس حيث يقول: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، لكن العلماء المسلمين يردون على ذلك من جهات عدة؛ منها:

- نفي نسبة التدلي للجبار ونسبتها إلى جبريل أو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد فصل الخطابي القول في ذلك، وذكر أن في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

---

[1] –ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، مطبعة رشوان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٨٠.

[2] –مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٥٩ بتصرف.

أولها: أنه دنا، يعني جبريل من محمد عليهما السلام، فتدلى؛ أي: فقرب منه، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي تدلى ودنا، وذلك أن التدلي سبب للدنو.

الثاني: تدلى له، يعني جبريل، بعد الانتصاب والارتفاع، حتى رآه النبي متدليا، كما رآه منتصبا، وكان ذلك من آيات قدرة الله حين أقدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شيء ولا تمسك بشيء.

الثالث: معنى قوله: دنا (يعني جبريل) فتدلى محمد صلى الله عليه وسلم ساجدا لربه شكرا على ما أراه من قدرته وأناله من كرامته، ولم يثبت في شيء مما روي عن السلف أن التدلي مضاف إلى الله سبحانه، جل ربنا عن صفات المخلوقين، ونعوت المربوبين المحدودين([1]).

تأول الدنو والتدلي بمعنى الإبانة عن عظيم المكانة وعلو المنزلة، وفي هذا يقول القاضي عياض: "اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد، وإنما دنو النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام([2]).

تأول الدنو والتدلي على ما يتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»، لكن تفسير النزول قد اختلف فيه كما وضح لنا ابن حجر؛ حيث يقول: "وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، وهم الخوارج والمعتزلة، وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك، وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عنادا. ومنهم من أجراه على ما ورد، مؤمنا به على طريق الإجمال، منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السلف"([3]).

وقد ادعى هؤلاء المغرضون أن في أحاديث الإسراء والمعراج ما يدل على جهل الله بما يطيقه العباد، وجهل النبي أيضا بذلك؛ حتى أعلمه موسى بذلك، ويقررون لذلك أن أحاديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات التي دخلت إلى السنة النبوية؛ لتعظيم أمر موسى والديانة اليهودية.

وللرد على ذلك نقول: "إن الله يعلم كل ما كان وما يكون، ويعلم أن نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم سيسأله التخفيف عن العباد، وبسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس، ولذلك سر وحكمة، وهي إظهار رحمة الله بهذه الأمة، ومنته عليها بالتخفيف عنها، بدليل قول الرب تعالى: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»([4]) ، كما أن فيها إظهار منزلة النبي عند ربه بقبول شفاعته في التخفيف عن أمته، وبيان رأفته ورحمته بأمته، باستماعه إلى مشورة أخيه موسى، ولا تسل عما في المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود، والمحب والمحبوب([5])

أما القول بأن مراجعة موسى لمحمد صلى الله عليه وسلم يقتضي بأن تكون هذه الأحاديث من الإسرائيليات فهذا مردود، لا يتفق مع المنطق والعقل السليم، "وعلى منطق هذا الطاعن تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث علمي، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني إسرائيل، لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى من

---

[1] -أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعيد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٨م، (٤/ ٢٣٥٣، ٢٣٥٤)

[2] -الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (١/ ٢٠٥).

[3] -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٣/ ٣٧.

[4] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٤١)، رقم (٣٨٨٧).

[5] -دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٧٧.

دسهم، أما والحديث مروي عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم، ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب – فقد أصبح الاحتمال بعيدا كل البعد، إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) الصحابة الذين روي عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمسة وعشرين صحابيا، واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة، ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، ووصفه بالإفادة والجودة، فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال في هذا؟!

وقد خرج حديث الإسراء والمعراج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة، وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في تفسيره، فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين، ولم نر فيما نعلم عن أ حد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ما تخيله هؤلاء؟!"([1]).

فلا إشكال في مراجعة موسى لمحمد صلى الله عليه وسلم، بل إن هناك عدة مسوغات لهذه المراجعة، منها:

١ –قرب الرسولين من بعضهما:

فموسى صاحب الرسالة التي قبل الإسلام مباشرة، فرسالته جاءت بالتكاليف، ورسالة عيسى مكملة لها وهي مواعظ، فهو أحدث رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فدرايته بالبشرية في هذه الآونة أقوى من دراية بقية الرسل، ومن هنا يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم»([2]) وفي رواية أخرى: «إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»([3])

٢ –تشابه الرسالتين:

وأيضا فرسالة موسى كانت للبشرية في أقرب أطوارها من الإسلام، فهي أكثر صلوات، وأكثر أحكام من الرسالات السابقة عليها، ومن هنا نصح موسى محمدا صلى الله عليه وسلم وقبل منه محمد.

ومن هاتين النقطتين يتضح أن الحديث لا يثبت ميزة لموسى فالمحادثة بينهما سببها قرب زمانيهما، وتشابه رسالتيهما.

٣ –لا ميزة في الحديث لموسى عليه السلام:

والقارئ لكل روايات الحديث لا يجد ميزة لموسى عليه السلام، ويعجز منكرو السنة عن إبراز أي ميزة فيه لموسى عليه السلام، إنهم يعللون وصفه بأنه يمثل ميزة لموسى، ونحن نتساءل معهم: أين الميزة؟

إن كون موسى سأل محمدا صلى الله عليه وسلم لا يثبت ميزة لموسى فإنه ينصح، والنصيحة قدر من أخلاق الأنبياء، إنه لم يذهب معه إلى أعلى من مكانه، بل ظل في السماء السادسة، وإنما محمد هو الذي عاود العلو والارتقاء إلى حيث لا ملك ولا نبي، فالميزة لمحمد صلى الله عليه وسلم، إن موسى لم يكلم ربه في هذه الحادثة وإنما الذي كلم ربه وكلمه ربه هو محمد صلى الله عليه وسلم، فأي ميزة لموسى عليه السلام حتى يقال: إن الحديث وضعه اليهود، إن الميزة في الحديث لمحمد فلقد عاود الارتقاء وحظي بالحديث والخطاب، يكلمه الله ويكلم الله، أوتي ميزة موسى الكليم وزاد،

---

[1] –دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٨٦، ٨٧.

[2] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى السماوات وفرض الصلوات، (٢/ ٦٠٤)، رقم (٤٠٨).

[3] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٤١، ٢٤٢)، رقم (٣٨٨٧).

وارتقى فوق مقام جبريل واستفاد، إنه لا ميزة في الحديث لموسى، وإنما فيه أنه أحس بقدر محمد صلى الله عليه وسلم، وأحس أن محمدا أوتي من الفضل أكثر مما أوتي هو أي موسى، وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد فاقت أمته في الفضل والمنزلة، ولقد بلغ بموسى الأمر أن بكى، بكى من رفعة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، ففي حديث مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فلما تجاوزت بكى أي: موسى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي»([1]) وفي رواية: «رب لم أظن أن ترفع علي أحدا»([2]).

٤ -الميزة في الحديث لمحمد صلى الله عليه وسلم:

فهو الذي ارتقى إلى حيث سمع صريف الأقلام، إلى مكان لم يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب، جاء في الرواية: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»([3]) أي الصوت الذي يصدر من الأقلام أثناء الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى ([4]) مما كلفت به الملائكة.

وهو الذي دخل الجنة ورأى ما فيها، فقد جاء في رواية: «ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»([5]).

وهو الذي قبل الله شفاعته، فحينما عاد يسأل التخفيف أكرم الله الكريم وجهه فخفف عنه وعن أمته، وكم عاد! وفي كل مرة بلغ المراد، فسبحانه ربنا الكريم الذي قبل شفاعة رسوله كثيرا، وصلى الله وبارك على الذي رجا وشفع طويلا، وفي هذه النقطة كثير من الفضل والميزة له، فهي تدل على كريم منزلته عند ربنا عز وجل، وتدل على رحمته وشفقته على أمته، وفيها عظيم كرم الله لهذه الأمة، يظل هذا معلوما في الأحاديث النبوية، مفيدا كرم ربنا، وشفقة نبينا.

وفي الترديد وطول بقائه في حضرة الله، يناجي ثم يذهب فيتشاور مع موسى ثم يعود فيناجي ربه، وفي ذلك حظوة بطول المناجاة، والبقاء في حضرة الله تبارك وتعالى.

وفي هذا الحديث ميزة عظيمة لرسول الله فإن موسى بعد أن صارت الصلاة خمسا طلب منه أن يرجع فيسأل التخفيف، إلا أنه رفض الرجوع، وقال: «سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»([6]) إنه الحس الصادق، والفطانة الكاملة، رضي بما فيه الرضى، وسلم بما اتضح أنه الحق، إنه الرسول الذي عايش نصوص دينه فأصبحت فكره ولبه، فأصبحت رأيه وقلبه، إنه قرأ قول الله تعالى: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها} [الأنعام: ١٦٠]، فلما وصل التخفيف إلى العشر أدرك أن هذا هو الذي سيستقر. إنه لم يفكر في أمر أمة موسى، وأنهم كانوا يصلون في اليوم صلاتين، وإنما كان يفكر في نصوص دينه، فألهم الصواب في فهم أصل من أصول دينه، وأنه الذي ينبغي عليه تصرفه صلى الله عليه وسلم.

وهو إمام المرسلين: ففي حديث أبي هريرة أنه قال: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء... فحانت الصلاة فأممتهم» ([7])، فهو قد صلى بالأنبياء إماما، وفي ذلك من التكريم مافيه،

---

[1] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٤١، ٢٤٢)، رقم (٣٨٨٧).
[2] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التوحيد، باب: (وكلم الله موسى تكليما)، (١٣/ ٤٨٦)، رقم (٧٥١٥).
[3] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ (١/ ٥٤٧)، رقم (٣٤٩).
[4] -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (١/ ٥٥)
[5] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ذكر إدريس .عليه السلام .، (٦/ ٤٣٢)، رقم (٣٣٤٢).
[6] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: : مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٤١، ٢٤٢)، رقم (٣٨٨٧).
[7] -صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، (٢/ ٦٢٥)، رقم (٤٢٣).

لقد جمع الله تبارك وتعالى لرسوله كثيرا من الأنبياء، صلوا خلفه، وكانوا في استقباله ووداعه، تحدث معهم، وتحدثوا معه، وفي ذلك الكثير والكثير، مما يثبت ميزته صلى الله عليه وسلم.

ليس في الحديث ما يوحي بدس:

إن المتتبع لأحاديث الإسراء والمعراج بكل رواياتها يتضح له جليا أنها لا يمكن أن تكون مدسوسة؛ فليس في أي إسناد من أسانيدها أحد من أهل الكتاب، ولا ممن يروي عن أهل الكتاب. إن أعداء السنة يلقون بالكلام دون دراسة أو تحديد، فليقولوا لنا: من الذي دس هذا الحديث؟ إنهم لا يستطيعون ذلك، فكل رجال إسناده إنما هم ثقات، أي مسلمون صالحون أذكياء، صلاحهم يمنعهم من الكذب، وذكاؤهم يبعدهم عن الخطأ، وقد روي الحديث من أكثر من طريق، وكلها متعاضدة يقوي بعضها بعضا، فمن أين يأتي الدس؟ إن أحاديث الإسراء والمعراج ثابتة صحيحة، جاءت من طرق كثيرة، بلغت حد التواتر، ومن هنا فليس لعاقل أن يجحدها، لقد رواها عن رسول الله خمسة وأربعون صحابيا([1])، ورواها عنهم كثرة كثيرة من التابعين، وعنهم أتباع التابعين بأكثر وأكثر، ومن هنا فهي مما لا يمكن التشكيك فيه، ثم إن الإسراء والمعراج أصلهما ثابت بالقرآن الكريم، وهذا يفيد ثبوتهما أكثر وأكثر، وعليه فليس لمنصف أن يشك في هذه الأحاديث.

إن السنة النبوية تهيأ لها من أسباب الحفظ والسلامة مما يجعلها حصينة ضد أي تزييف، وأقوى من أن يزاد فيها حرف أو يحذف منها حرف([2]).

الخلاصة:

١ –إن أحاديث الإسراء والمعراج ثابتة وصحيحة ومتواترة، ولا تناقض بينها، فقد وردت بروايات متعددة في صحيحي البخاري ومسلم، فمنها ما رواه ابن شهاب، ومنها ما رواه قتادة، ومنها ما رواه ثابت البناني، ومنها ما رواه شريك بن عبد الله، وقد ذكر الكتاني في نظم المتناثر أن أحاديث الإسراء والمعراج رويت عن النبي عن خمسة وأربعين صحابيا، وعلى هذا فلا يمكن القدح أو التشكيك في نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم.

٢ –لقد وقعت حادثة الإسراء والمعراج بعد البعثة وقد دل على ذلك كثرة المرويات المثبتة لذلك في صحيحي البخاري ومسلم، أما رواية شريك التي قد يفهم منها غير ذلك فقد وجهها العلماء بما لا يتناقض مع ما سبق إثباته من أن الحادثة كانت بعد البعثة، وعلى هذا فلا إشكال ولا تعارض بين الروايات.

٣ –إن حادثة الإسراء والمعراج قد حدثت مرة واحدة بعد البعثة يقظة بالروح والجسد، وليس هناك دليل صحيح على أنها حدثت بالروح فقط، كما لا يوجد دليل على كونها حدثت مناما، فكون الملك جاءه وهو نائم لا يعني أن النبي استمر في نومه أثناء الرحلة.

٤ –ليس هناك اضطراب في الروايات المخبرة بحادثة شق صدر النبي لأنه لا مانع من أن يحدث الشق أكثر من مرة، فقد حدث مرة في طفولته تمهيدا للرسالة، ومرة عند البعثة، ومرة ثالثة تمهيدا للقائه بربه في رحلة الإسراء

٥ –لا اضطراب بين الروايات في تحديد المكان الذي بدأت منه الرحلة، فهو نام في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق.

---

[1] –انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، الكتاني، دار الكتب السلفية، مصر، ط٢، د. ت، (١/ ٢٠٩).

[2] –دفع الشبهات عن السنة والرسول، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١٣: ١١٧.

٦ –إن الاضطراب المزعوم حول أمكنة الأنبياء في السماوات غير مسلم به أيضا، فعند من يرى تعدد المعراج فلا إشكال ألبتة، وأما مع الاتحاد فقد جمع الحفاظ بين هذه الروايات.

٧ –لا اختلاف في آخر ما وصل إليه النبي فقد أجمعت الروايات على أن سدرة المنتهى هي آخر ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مشكلة في الألفاظ المختلفة ما دامت تعبر عن معنى واحد مفهوم من الحديث، كما أنه لا اختلاف في موضعها؛ لأن العلماء وجهوا ذلك على أن أغصانها في السماء السادسة وفروعها في السابعة، وعلى ذلك فلا اختلاف ولا تعارض.

٨ –لا اضطراب بين قوله تعالى في الحديث: «لا يبدل القول لدي» وبين مراجعة موسى لمحمد عليهما الصلاة والسلام بأن يرجع إلى ربه لطلب التخفيف، ودليل عدم التعارض هو قوله لموسى عند آخر مرة يراجعه فيها: «استحييت من ربي»، وقد بينا سابقا أن قوله: «استحييت» دلّ على علمه بأن طلب التخفيف بعد ذلك يعتبر رفعا للصلاة لا تخفيفا لها، فالله لم يبدل قوله، بمعنى أن لم يرفع الصلاة بعد أن فرضها.

٩ –ليس هناك أي تناقض بين القرآن الكريم وبين روايات الإسراء والمعراج، وما قيل من أن القرآن لم يذكر المعراج غير صحيح؛ لأن سورة النجم صريحة وواضحة في ذكر المعراج، ولا سيما في قول تعالى: {ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤)}

١٠ –إن استئثار الله بعلم الغيب وهو ثابت في القرآن والسنة لا يتعارض مع روايات الإسراء والمعراج، وذلك أن الله قد بين في كتابه أنه يطلع بعض عباده على ما يشاء، وذلك في قوله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول}.

١١ –إن روايات الإسراء والمعراج لا تتعارض مع العقل لما سبق أن قررناه من أن العقل لم يكلف بالبحث في الغيبيات أو الحكم عليها بالصحة أو البطلان، وإنما يسلم بما يخبر به الوحي من غيبيات، وعلى هذا فلا يصح إنكار البراق أو استفتاح جبريل لأبواب السماوات، أو تكرار رجوع محمد صلى الله عليه وسلم أو رؤية النبي للأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم في الأرض، أو إنكار شق صدره أو العروج به أو غير ذلك من أمور الغيب.

١٢ –إن أحاديث الإسراء والمعراج لا تثبت نقصا في حق الله فهي لا تثبت تشبيها أو تمثيلا كما يرى البعض مما فهموه من رواية «ودنا الجبار»، وأننا إذا لم نعتبر هذه العبارة زيادة من شريك يخالف بها روايات الثقات نسلم بما جاء فيها دون سؤال عن الكيفية ودون اعتقاد النقص في هذه الكيفية.

١٣ –كما أن أحاديث الإسراء والمعراج لا تنسب صفة جهل إلى الله ولا نبيه بأحوال المكلفين كما فهم بعضهم من مراجعة موسى لمحمد صلى الله عليه وسلم وإعطائه النصح بطلب التخفيف من الله؛ وذلك لأن الله يعلم ما كان وما سيكون، ويعلم أن محمدا سيطلب التخفيف، وكانت الحكمة من ذلك هي إظهار رحمة الله بالأمة، وبيان حبه للنبي وعلو منزلته عنده، وغير ذلك من الحكم والفوائد.

١٤ –كذلك فإن أحاديث الإسراء والمعراج ليست دسيسة إسرائيلية كما يدعي البعض بحجة أن فيها إعلاء لشأن موسى بمراجعته لمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد بينا أن ذلك غير صحيح، فليس هناك دليل على أنها دسيسة، فلم يرو هذه الأحاديث أحد من أهل الكتاب، كما أنها لا تظهر مكانة موسى بقدر ما تظهر مكانة محمد صلى الله عليه وسلم وفضله وإمامته للأنبياء، وعلو منزلته عند ربه.

رابعاً: الطعن في معجزة الإسراء والمعراج بالتشكيك في صحة ما وقع فيها من أحداث ([1])

يطعن بعض المشككين في معجزة الإسراء والمعراج ويستدلون على ذلك بما يزعمونه من مخالفة بعض ما ورد فيها من أحداث لمقتضى المنطق أحيانا، أو لجملة ما عهد من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، أو لطبيعة ما اختصت به الجنة، وما اتسم به الغيب أحيانا أخرى، ويمثلون لذلك بما روي من ذهابه إلى بيت المقدس وصعوده إلى السماء السابعة ورجوعه والفراش ما زال دافئا، وبكاء موسى عليه السلام كما يظنون حقدا وحسدا لما حظي به النبي وأمته على الرغم من أنه في الجنة، ولا شيء من الحقد والحسد الدنيوي في الجنة، ثم إخباره بأمور غيبية، والغيب لله ولا يطلع عليه سواه، وأخيرا تفاخره بكثرة عدد داخلي الجنة من أمته، وهذا يتنافى مع تواضع الأنبياء. ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في أحداث ثابتات في حياته معلومة من معجزاته بالضرورة، بغية تجريده صلى الله عليه وسلم مما أيده الله به من معجزات، وما كرمه به من خصوصيات، تآزر رسالته، وتعضد دعوته.

وجوه إبطال الشبهة:

١ –إن رحلة الإسراء والمعراج معجزة، والمعجزات تخرج عن نطاق الزمن، كما تخرج عن نطاق التفسير العقلي، وهذا إنما يدل على قدرة الله عزوجل خالق كل شيء وبالغ إعجازه وتأييده لنبيه صلى الله عليه وسلم.

٢ –لم يكن بكاء سيدنا موسى حقدا أو حسدا لمحمدﷺ وأمته، لكنه كان أسفا على قومه الذين خذلوه بقلة عدد من اتبعه منهم، بدليل أنه راجع النبي صلى الله عليه وسلم لتخفيف الصلاة على أمته.

٣ –اختص الله نفسه بعلم الغيب، إلا أنه أظهر بعضه لبعض رسله، دليلا على صدق نبوتهم، وكان معراجه صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس ووصفه الدقيق للمسجد الأقصى دليلا على صدقه فيما أخبر به في رحلته.

٤ – لم يكن تفاخر النبي كبرا أو خيلاء على الأنبياء، وإنما كان فرحا وسرورا بأكثرية تابعيه يوم القيامة دون غيره من الأنبياء، فمن الثابت أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس تواضعا على الرغم من علو مكانته عند ربه.

أولا. كانت رحلة الإسراء والمعراج معجزة، والمعجزات تخرج عن نطاق الزمن:

إن ما يدعونه من كثرة الأحداث، وقلة الزمن الذي حدثت فيه معجزة الإسراء والمعراج، دليل على سوء تقديرهم للأمور، فكيف تكون معجزة إن لم تكن خارقة للعادة؟! فالإسراء والمعراج أمران ممكنان بالنسبة لطلاقة قدرة الله وأخبر بهما الصادق المصدوق في القرآن الكريم المتواتر، وفي الأحاديث الصحيحة المشهورة، فوجب التصديق بوقوعهما، ومن ادعى استحالتهما فعليه بالدليل وهيهات ذلك.

ثم إن كونهما مستبعدين عادة لا ينهض دليلا ولا شبه دليل على الاستحالة، وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة ومعجزة لمنطق العقل، كما قال العلماء؟! ولو أن كل أمر لا يجري على سنن العادة لحقه الإنكار لما ثبتت معجزة نبي من الأنبياء، ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال في زمن قليل، فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه "براقا" يقطع هذه المسافة، في زمن أقل من القليل؟!

[1] –موجز دائرة المعارف الإسلامية، فريق من المستشرقين، مركز الشارقة، ١٤١٨هـ. ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، مكتبة رشوان، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

ولسنا نقصد بهذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس، فحاشا لله أن نريد ذلك، وإنما أردنا تقريبهما لعقول من ينكرونهما، أو يشككون فيهما، بما هو مشاهد ملموس، فمهما تقدمت العلوم ومهما تقدم غزو الفضاء فلا يزال الإسراء والمعراج آيتين ظاهرتين للنبي صلى الله عليه وسلم ([1]).

والحقيقة أن هاتين الحادثتين تبعثان في العقل الذهول، فهل من تفسير منطقي يريح العقل من ذهوله؟! والجواب: اللهم نعم! وذلك لأن الله أعطى مثالين واضحين في القرآن أشار فيهما إلى حوادث تتطابق في تفسيرها مع حادثتي الإسراء والمعراج، وهذان المثالان هما قصة العزير، وقصة أصحاب الكهف!

فالعزير نبي من أنبياء بني إسرائيل، أراد الله تعالى أن يقدم له دليلا على البعث بعد الموت؛ لأنه تساءل عن كيفية إحياء الخلق بعد موتهم، وكان العزير قد قفل عائدا إلى بيته راكبا حماره، ويحمل سلة فواكه كان قد قطفها من بستانه مع كوز ماء، وعندما شعر بالتعب في المسير، وأراد الراحة نزل عن حماره وربطه بجانبه، واستلقى على الأرض واضعا سلة الفواكه، وكوز الماء بجانبه، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، فسأله ملك أرسله الله إليه يسأله: كم لبثت؟ فظن أنه لبث يوما واحدا على الأكثر، فقال له الملك: إنك لبثت مئة عام. أما طعامك، وشرابك، وكذلك ماء الشرب لم يتبخر ولم يتخمر، فلم يفسد وأما حمارك فقد فني، وبليت عظامه، وشاهد العزير مقدرة الله على إحياء الموتى، فراحت العظام تتجمع، ثم تكتسى باللحم، وعادت الحياة إلى حماره، فقال العزير: إن الله على كل شيء قدير.

وهذا ما جسده السياق القرآني في قوله عزوجل: {أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير} [البقرة:٢٥٩].

وتفسير هذه القصة أن الله تعالى القادر على كل شيء، والذي في يده مسيرة الزمن يطلقه، أو يقبضه، أو يعيده قد أوقف الزمن على العزير، والماء، والطعام، وفي نفس الوقت أطلق الزمن على الحمار والناس، ثم أعاد الزمن على الحمار وحده دون أن يعيده على الناس أجمعين، وبذلك بقي العزير على حاله، وكذلك الماء، والفواكه، وترك الله الزمن ليمضي على الحمار، وعلى كافة مخلوقاته، وعندما أراد الله إعادة الزمن، أعاده على الحمار فقط ثم أطلقه على الحمار ليعود حيا، بينما مات من الخلق من مات، وأصابه من الزمن ما أصاب.

كذلك فإن الله أوقف الزمن على أهل الكهف حوالي ثلاثمائة عام، وأطلق الزمن على الأرض كلها، ولما أعاد الله إليهم الحياة كانت قد تغيرت البشرية بمقدار هذه السنوات فعاش بعدها أهل الكهف، ما قدر لهم الله أن يعيشوا، ثم قبضهم الله قبضة واحدة، والله على كل شيء قدير، ليكونوا بذلك معجزة مرئية لقومهم الذين جاءوا بعدهم.

وبهذه الطريقة نفهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم تستغرق رحلته في الإسراء والمعراج أي زمن؛ لأنها حدثت خارج حدود الزمن؛ لأن الله أوقف تقدم الزمن على الأرض كلها وأخرج محمدا صلى الله عليه وسلم من حدود الزمان والمكان، فكانت رحلة الإسراء والمعراج الرحلة التي زار فيها الرسول الأعظم ملكوت السموات، وشاهد ما شاهد، وكلم ربه في الحضرة المقدسة، الأمر الذي لم يحدث لبشر قبله، فاستحق من الناس لقب أكرم خلق الله([2])، وهذا تأكيد على أن النبي مؤيد من الله عز وجل، فهي معجزة، والمعجزات خارقة للعادة وإلا فما وجه الإعجاز فيها؟!

---

[1] -السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٨، ٤١٩.

[2] -قوانين النبوة، موفق الجوجو، دار المكتبي، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣١٦: ٣١٨.

وإن قال قائل: ما دام الفعل مع الله لايحتاج إلى زمن، فلماذا لم يأت الإسراء لمحة فحسب، ولماذا استغرق ليلة؟ نقول: لأن هناك فرقا بين قطع المسافات بقانون الله عزوجل، وبين مَرَاء عرضت على النبي في الطريق، فرأى مواقف، وتكلم مع أشخاص، ورأى آيات وعجائب، هذه هي التي استغرقت الزمن، ثم إننا حين ننسب الفعل إلى فاعله يجب أن نعطيه من الزمن على قدر قوة الفاعل. هب أن قائلا قال لك: أنا صعدت بابني الرضيع قمة جبل إفرست، هل تقول له: كيف صعد ابنك الرضيع قمة إفرست؟! وكذلك مسألة الإسراء والمعراج بقول الله تعالى: "أنا أسريت بعبدي، فمن أراد أن يحيل المسألة وينكرها، فليعترض على صاحب الفعل، لا محمد صلى الله عليه وسلم " ([1]).

ثم: كيف ينكر الطاعنون صعود الأجسام إلى السماء بقدرة الله، وهي ليست ممتنعة عند أهل الكتاب؟! "وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه". (التكوين ٥: ٢٤)، وهذا إيليا يقول عنه كاتب سفر الملوك الثاني: "وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء، أن إيليا وأليشع ذهبا من الجلجال. فقال إيليا لأليشع: امكث هنا لأن الرب قد أرسلني إلى بيت إيل. فقال أليشع: حي هو الرب وحية هي نفسك، إني لاأتركك ... وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعت إيليا في العاصفة إلى السماء". (الملوك الثاني ٢: ١. ١١)، فهذه الأمور مسلم بها عند اليهود والنصارى، فلا مجال لهم لأن يعترضوا على معراج النبي ([2]).

بهذا يتبين أن قدرة الله فوق كل شيء، فهو المقدر للزمان والمكان، وهو مسير الكون حسب إرادته، وهو المؤيد لأنبيائه بالمعجزات الخوارق، مكور الليل والنهار حسب إرادته ومشيئه.

ثانيا. لم يكن بكاء موسى حسدا، ولكنه كان حزنا على قومه الذين خذلوه بقلة عدد من اتبعه منهم، بدليل أنه راجع النبي لتخفيف الصلاة على أمته:

الظواهر بمفردها لا تبين ما يراد منها، بل إنها تحتاج لفهمها إلى آلة فهم، وإلى فهم البواعث ومرادها، والغاية والمقاصد التي تنتهي إليها، إذ بغير ذلك لا تفهم الحوادث، وبغير ذلك لا تعقل الأشياء([3]).

ومن هنا نوضح أن موسى في الحديث حين جاوزه النبي بكى وعلل بكاءه هذا بأن النبي برغم أنه متأخر في البعثة والظهور، إلا أنه قد قدر له أن يكون أكثر الناس أتباعا يوم القيامة، والبكاء من موسى حادثة من الحوادث، ومظهر من المظاهر التي تعرض للجسم المادي فتعبر عن حالة من حالات النفس لا يعرفها إلا صاحبها، أو من كان يعلم السر وأخفى من السر.

فأنت تدمع عيناك لتعبر عن حالة من حالات السعادة في داخلك، فإذا كان شر البلية ما يضحك كما يقولون، فإن أعلى درجات السعادة ما يبكي، وتلك حالات عجيبة من أحوال النفس يعصف بها إعصار الحزن والألم إلى أن يعبر الجسم عن ذلك بالضحكات، وليست هذه الحالة من أحوال النفس نادرة من النوادر، بحيث لا يجدها التاريخ إلا عند رجل أو رجلين في جيل من الأجيال أو في أجيال متعاقبة، ولكنها ظاهرة من الظواهر قد بلغ من عمومها إلى الحد الذي صارت توضع معه مثلا، حيث يقول الناس حين تشتد البلية وهم يضحكون (إن شر البلية ما يضحك).

---

[1] -تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، مصر، ط١، ١٩٩١م، ج١٣، ص٨٣١٣.

[2] -رد افتراءات المنصرين حول الإسلام العظيم، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٨٩، ١٩٠ بتصرف يسير.

[3] -ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص١٣٥، ١٣٦.

وقس على ذلك عكسه من أحوال النفس التي تعرض لها، وليست من قبيل الأشياء النادرة في الوقوع، فإننا كثيرا ما نجد الإنسان يأخذه السرور من جميع أقطاره وتكتنف نفسه الفرحة من جميع جوانبها، والجوارح تعبر عن ذلك بالبكاء، وأيضا قد يكون البكاء لحقد أو حسد.

فمن أحوال النفس التي تبكي من أجلها ما يكون منها من حقد، أو حسد، أو غل، أو ما يشبه ذلك من أمراض القلوب الطاغية، حين ترى الآخرين في نعمة أو في سعادة، وهي لا تملك أن تفعل شيئا فلا يكون لذلك من تعبير يعبر عن الألم الذي تشعر النفس به إلا البكاء، غير أن البكاء يكون في هذه الحال والتي يكون سببها مرض من أمراض القلوب، إنما يسيل على الخدود بعد أن مر بنار الحقد العالية، وبعد أن ارتفعت بحرارته انفعالات الحسد المدمرة.

بعد هذا البيان الموجز نقول: إن القوم نظروا إلى هذه الفقرة من الحديث، وحملوا بكاء موسى على أنه لا يعبر إلا عن حال واحدة هي الحقد، أو الحسد، أو الغيرة، ولسنا ندري أهؤلاء القوم لا يعلمون من أحوال النفس إلا هذه الأحوال التي لا تعبر إلا عن أمراض القلوب؟! أو أنهم يعلمون نحو ما ذكرناه من أحوال النفس، ولكن أحوال نفوسهم الخاصة قد جعلتهم يضللون، ويزورون حتى يتمكنوا من صرف الناس عن سنة نبيهم تمهيدا إلى صرفهم عن نبيهم في النهاية، باعتباره الغاية القصوى التي يرجونها ويأملونها، أو تقع ممن هم وراءهم مواقع من يبتغون ويريدون؟!

إن موسى قد بكى ولا شك، ونحن نستطيع أن نحمل بكاء موسى على كل حالة من حالات النفس إلا أن تكون هذه الحالة معبرة عن مرض من أمراض القلوب. وينتفي أن يكون بكاء موسى حقدا أو حسدا لأمرين؛ هما:

١. أنه نبي وأمراض القلوب خسة خلقية يترفع عنها ذوو الأريحيات والقلوب العظيمة، فضلا عن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

٢. آخر الحديث يأبى كل الإباء على من يريد أن يحمل بكاء موسى على مرض من أمراض النفس قاصدا إلى هذا الحمل أو غير قاصد.

ألست ترى أن النبي في آخر الحديث قد بين أن الله قد فرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة أول الأمر، ولم يمض الله فريضته حتى راجعه النبي مرارا، حتى صارت الصلوات خمسا في اليوم والليلة، ولقد شاء أن الذي يحمل النبي على أن يراجع ربه هو موسى عليه السلام؟ لعل تفسير ذلك أن عالم الغيب قد علم أنه سيأتي قوم يتهمون موسى بأنه بكى حقدا، ويتهمون النبي حين يخبر بالحديث أنه يقول ما يقوله خيلاء وكبرا، فشاء ربنا أن يكون موسى هو الذي راجع النبي محمدا وأمره أن يعود إلى ربه كي يقطع ألسنة ويرغم أنوفا.

وهذا يؤكد أن نبي الله موسى لم يكن حاقدا أو حاسدا للنبي بدليل قول راوي الحديث "وكان موسى من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع إليه"([1])، لقد كان بكاء موسى تعبيرا عن حزنه على قومه وقلة أتباعه يوم القيامة، ونقصان أجره بعكس أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالبكاء من قبل موسى لأنه مكث في قومه فترة طويلة، ولم يؤمن له فيها العدد الذي آمن بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

نخلص من هذا إلى أن بكاء سيدنا موسى لم يكن بكاء حقد، أو حسد للنبي وأمته كما يدعون، ولكنه بكاء رحمة لأمته لقلة من اتبعه منهم.

ثالثا. اختص الله سبحانه وتعالى نفسه بعلم الغيب، إلا أنه أظهر بعضه لرسله؛ ليدلل على صدق نبوتهم:

[1] -ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص١٣٩: ١٤٢ بتصرف يسير.

علم الغيب في الماضي أو في المستقبل مقصور على الله لكن قد يطلع الله أحد رسله الكرام على المغيبات، فيكون ذلك من جملة معجزاته الباهرة الثابتة قطعا ويقينا، وهذا ما تم لرسولنا الأكرم في جملة وقائع وأخبار تحققت، وبعضها يتحقق حاليا، وبعضها يتوقع تحققه بعدئذ، قال عز وجل: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧)} (الجن)([1]).

فلقد أخبر عن أمور مستقبلية، لا تعلم إلا بالوحي، ولا علم له بها، وأثبت الواقع صدقه إذا وقعت وفق ما أخبر مما يدل على أن الله هو الذي أخبره بذلك وأن هذا علامة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ([2])، ولقد اشتمل القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة على عدد من هذه الغيبيات التي تحققت، وما زالت تتحقق، وسوف يتحقق جزء منها في المستقبل إن شاء الله.

ومما أخبر به القرآن على لسان نبينا ما جاء في المعركة التي كانت بين الفرس والروم، وأن الغلبة في النهاية للروم، فقال عز وجل: {الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله}.

ففي عهد رسول الله دارت معركة بين فارس وهم عباد نار، والروم وهم أتباع النصرانية، وانتصرت فارس على الروم، ففرح مشركو مكة، واعتبروا ذلك بشارة بنصرهم على المسلمين؛ ذلك أن الفرس وهم أهل دين أرضي قد انتصروا على الروم أتباع الدين السماوي، فقاسوا على ذلك أن ينتصر مشركو مكة، الذين هم أتباع دين أرضي على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصحاب الدين الرباني، ونزلت هذه الآيات من صدر سورة الروم، تبشر المؤمنين بأن الله سينصر الروم في خلال سنوات معدودة([3]) وتحقق ما جاء في كتاب ربنا، وما أخبر به نبينا، وهذا يدل على صدق ما جاء به وأنه ليس تقولا على الله.

ومن الغيبيات التي أخبر بها النبي أيضا "إخباره بموت قادة غزوة مؤتة"؛ فقد حدث أن جهز رسول الله جيشا ليؤدب أهل الجهة الشمالية من الجزيرة، بعد أن قتلوا مندوبه غدرا، وعيّن من يقود هذا الجيش، وكان التعيين عجيبا، فلقد عين زيد بن حارثة قائدا للجيش، فإن قتل؛ فليكن القائد جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن راوحة، وأيقن الصحابة أن هؤلاء القادة سيقتلون، وأيقن القادة أيضا بذلك وسافر جيش المسلمين، والتقى بجيش الروم، وقتل القادة الثلاثة، واختار الجيش خالد بن الوليد قائدا، وأعز الله جنده.

ورسول الله في المدينة، يخبر بكل ذلك، يخبر باستشهاد القادة الثلاثة، وتولي خالد، وفتح الله على المسلمين، فعن أنس أن النبي نعى زيدا، وجعفرا، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد، فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر، فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة، فأصيب، وعيناه تذرفان... حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» ([4])، تلك الحادثة تؤكد صدق النبي فيما أخبر عن ربه من الأمور الغيبية، فقد أخبر النبي بكل ما حدث وقد حدث بالفعل.

وقد جعل الله إسراء النبي إلى بيت المقدس قبل المعراج ليكون دليلا على صدق النبي فيما يخبر به.

---

[1] -شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، د. وهبة الزحيلى، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٠٨.

[2] -معجزات الرسولﷺ التى ظهرت في زماننا، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٤، ٣٥.

[3] -معجزات الرسولﷺ التى ظهرت في زماننا، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٨.

[4] -أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٤٧) معجزات الرسولﷺ التي ظهرت في زماننا، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٤، ٤٥.

وقد أبان هذا السر الشيخ محمد بن أبي جمرة، فقال: إن الحكمة في الإسراء برسول الله من بيت المقدس قبل العروج به إلى السماء إقامة الحجة على المشركين والمتشككين؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمراغمة الكفار الضعفاء سبيلا إلا إلزامهم بالحجة إذ لا علم لهم بالعالم العلوي، حتى يسألوا فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة، بخلاف ما وقع بالفعل، فإنه لما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه أن يصف لهم بيت المقدس، وكانوا يعرفونه في تجارتهم وأسفارهم .. ويعلمون أيضا أن النبي لم يكن رآه من قبل فلما أخبرهم بأوصافه كان ذلك أكبر آية على صدقه فيما ذكر في الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة ورجوعه منه، وإذا تحققوا من صدقه لزمهم تصديقه في بقية ما ذكره من المعراج، ليؤمن من آمن عن بينة، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليهم([1]).

إن هذا ليؤكد صدق النبي فيما أخبر من أمور غيبية، قد علمها النبي بالوحي، أو أخبر عنها كما رآها بالمشاهدة ، كما حدث في رحلة الإسراء والمعراج، وقد صدق الله إذ يقول: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}.

رابعا. لم يكن تفاخر النبي كبرا أو خيلاء على الأنبياء، وإنما كان فرحا وسرورا بأكثرية تابعيه يوم القيامة، دون غيره من الأنبياء:

معلوم أن الله تعالى كرم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله على جميع البشر، وجعله سيد ولد آدم، وبيده لواء الحمد دون فخر ولا استعلاء، وهذه ميزة أجمعت عليها الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة؛ ومنها: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»([2]) وعن أنس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة» ([3]) فالسيادة للنبي ملازمة لأكثرية أتباعه، وقد لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة ، فكان سيدهم في الحياة الأخرى، دون ادعاء، ومظهر هذه السيادة: ما دل عليه قول أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك» ([4])

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم: إعطاؤه نهر الكوثر والحوض الأكبر لاستقاء الناس منه، ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق(الفضة)، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا» ([5]).

وعلى الرغم من أن الله أعلى شأن نبينا وجعل أمته أكثر الناس دخولا للجنة، إلا أن نبينا كان على جانب عظيم من التواضع مع علو منزلته ورفعة رتبته، وهي النبوة وكمال الرسالة، فكان أشد الناس تواضعا وأبعدهم عن الكبر، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا من جملة عباد الله عز وجل، فاختار أن يكون نبيا عبدا؛ أي تباعد عما هو من شأن الملوك من التكبر والتجبر، وتقرب إلى ما هو من صفات العبد من التقلل في الدنيا والإقبال على خدمة المولي.

---

[1] -عظمة الرسولﷺ والرد على الطاعنين في شخصه الكريم، محمد بيومى، دار مكة المكرمة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٩٧.

[2] -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق (٦٠٧٩).

[3] -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي: "أنا أول الناس يشفع في الجنة" (٥٠٥).

[4] -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي: "أنا أول الناس يشفع في الجنة" (٥٠٧).

[5] -أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٠٨)، ومسلم في صحيحه(٦١١١)، شمائل المصطفىﷺ د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٩٨: ٢٠٠

قال له إسرافيل عند ذلك: «فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه، وأول شافع، وأول مشفع»([1]) وعملا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من تواضع لله رفعه»([2]). وقال: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد إنما أنا عبد» ([3]) ومن تواضعه قوله: «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى».([4]) «ولا تخيروني على موسى» ([5])، على أن ما كان من تفاخره وفرحته بأمته وعدد من يدخلون الجنة منها، لم يخرج عن جملة ما عهد منه من تواضع جم مع ربه، ومع الأنبياء جميعا، ومع سائر أمته فقراء وأغنياء، والشواهد في ذلك كثيرة متواترة تواترا تغني الإشارة إليه.

إن ما جهله هؤلاء أن النبي كان فخورا بأمته فرحا لها وسعيدا لأجل تفضل الله عليه، وبأنه سيكون أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة في الجنة، إنها فرحة الراعي برعيته، فرحة المعلم بنجاح تلميذه، هذا ما جهله الطاعنون، وتناسوه.

[1] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق (٦٠٧٩).

[2] – صحيح: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٢).

[3] –صحيح: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه،(١٩٥٥٤)، وأبو يعلى في مسنده، تابع مسند عائشة (٤٩٢٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٤).

[4] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر يونس عليه السلام (٦٣١٠).

[5] –أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٨٠)، ومسلم في صحيحه (٦٣٠٢)، شمائل المصطفىﷺ د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٤٣.

خامسا: التشكيك في ثبوت معجزة الإسراء والمعراج([1])

يشكك بعض المغالطين في ثبوت معجزة الإسراء والمعراج، والجزم بوقوعها بالكيفية التي يعتقدها المسلمون، ويرون أنها لا تخرج في مجملها لما فيها من مجاوزة للعقل والواقع المألوف عن أحد هذين الاحتمالين: إما أنها رؤيا منامية مستدلين على ذلك بقوله عز وجل: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} [الإسراء: ٦٠] وإما أنها ضرب من الأفكار الفلسفية، مثل وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان. وهم في هذا وذاك يرمون صراحة إلى نفي معجزة الإسراء والمعراج، ضمن منظومة نفي معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ بغية تجريده من تأييد الله له بها، والخروج به عن مقتضى كونه نبيا.

وجوه إبطال الشبهة:

١ –إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عجيبة مدهشة بالفعل، وليس كل عجيب منكرا، وليس كل مدهش خياليا غير واقعي!

٢) إن في الحوار الذي دار بين النبي وقومه، ودقة وصفه للمسجد الأقصى؛ ما ينفي انتحاله هذه المعجزة من جهة، ويثبت وقوعها بالبدن والروح حال اليقظة من جهة أخرى.

٣) إن وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان جميعها محل نظر، ولا ينبغي تشبيه معجزة الإسراء والمعراج بمثل تلك الأفكار الفلسفية؛ للبون الشاسع بينهما.

أولا. إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عجيبة مدهشة، لكن ليس كل عجيب منكرا، وليس كل مدهش غير واقع:

ليس من الصواب في شيء أن يعد أحد المشككين كل ما هو خارج عن علمه في دائرة العدم، فنراه يتحدث بما لا يعرف قائلا: إن الإسراء والمعراج حدوثهما غير ممكن؛ لأن الذهاب من مكة إلى بيت المقدس، ثم الصعود إلى السماوات العلا، ثم الرجوع من حيث أتى في جزء من الليل أمر مستحيل؟ ذلك لأن الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية محدودة بثلاثمائة كيلو مترا تقريبا، فمن جاوزها صار عرضة للموت المحقق لعدم وجود الهواء الذي لا بد منه للحياة.

ومثل هذا الكلام لا ينهض على قدمين أمام البحث العلمي الصحيح، "فالإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلا أخبر بهما تعالى في القرآن الكريم المتواتر، كما أخبر بهما الصادق المصدوق في الأحاديث الصحيحة المشهورة، فوجب التصديق بوقوعهما، ومن ادعى استحالتهما فعليه البيان وهيهات ذلك، وكونهما مستبعدين عادة لا ينهض دليلا ولا شبه دليل على الاستحالة، وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة كما قال العلماء؟ ولو أن كل أمر لا يجري على سنن العادة كان مظنة للإنكار لما ثبتت معجزة نبي من الأنبياء.

ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال في زمن قليل؟ فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك، أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه "براقا" يقطع هذه المسافة في زمن أقل من القليل؟! لسنا نقصد بهذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس وإنما أردنا تقريبهما لعقول من ينكرونهما بما هو مشاهد ملموس، فمهما تقدمت العلوم ومهما تقدم غزو الفضاء فلا يزال الإسراء والمعراج آيتين ظاهرتين للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] –اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، إدوارد جيبون، ترجمة: محمد سليم سالم، دار الكتب المصرية، د. ت. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م. القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، كارين أمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد العناني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

وأما شبهة أن المعراج لم يذكر في القرآن كما ذكر الإسراء، فيدفعها أن المعراج وإن لم يذكر في القرآن صراحة فقد أشير إليه فيه، ولو سلمنا بعدم ثبوته بالقرآن فلا ينبغي أن يكون ذلك سببا للإنكار، فما الأحاديث النبوية إلا مبينة للقرآن، وشارحة له، ومتممة له، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، والحق من الباطل، والهدى من الضلال، وإثبات الآيات والمعجزات، ولو أننا قصرنا الدين ومسائله على القرآن الكريم فحسب؛ لفرطنا في كثير من الأحكام والآداب، والآيات، والمعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما القول بأن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام وهو مستحيل. فمزعم قديم أكل الدهر عليه وشرب، وأبطلته النظريات العلمية الحديثة، فقد انتهى بحث العلماء إلى أن الكون في أصله كان قطعة واحدة، ثم تناثرت أجزاؤه، وانفصل بعضها عن بعض حتى غدا من ذلك العالم كله: علويه وسفليه" ([1]).

إن العلماء الكونيين قد خطوا خطوات واسعة في غزو الفضاء، والتنقل بين الأجواء، والدوران حول الأرض والقمر، ومعرفة كم هائل من المعلومات عن المجموعة الشمسية، مما قد يعد من ضرب المعجزات والخيال في القرون الماضية، وما زال التقدم العلمي في هذا المجال يزداد يوما بعد آخر، مما يدحض زعم هؤلاء أن الإسراء والمعراج غير ممكن عقلا.

وأما قولهم بأن الهواء ينعدم على بعد خاص فهو لا يسوغ الإنكار، فنحن نجد الغواصين يمكثون الساعات الطوال تحت الماء مكتفين بما معهم من هواء، وأيضا نجد رواد الفضاء قد تغلبوا على هذه المشكلة إن صح أن تسمي هذه مشكلة بل وعلى ما هو أشكل منها، ويختزنون معهم من الهواء ما يحفظ عليهم حياتهم أياما لا ساعات.

فإذا ثبت هذا في حق المخلوق وكان في مقدرته ذاك وقليلة ما هي مقارنة بمقدرة الله أفيبعد على الخالق ما أدركه المخلوق إن أراد حدوثه لأحد من الأنبياء على طريق الإعجاز، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون؟! إنه الله خلق السماوات، والأرضين معلقات في الفضاء بلا عمد، وأمسكهما أن تزولا وتسقطا على عظم أجرامهما، ودقة مساراتهما ، وأبدعهما أيما إبداع، وربط الأسباب بالمسببات، وأوجد للكائنات نواميس خاصة بها، وعلم ما يحتاج إليه كل كائن حي من إنسان، أو حيوان، أو نبات، وقدر لكل ما يحفظ له حياته وهو قادر على أن يسري بنبيه من مكة إلى بيت المقدس، ثم يعرج به إلى سدرة المنتهى في جزء من الليل، وأن يحفظ عليه حياته في عروجه من الأرض إلى السماوات السبع وما فوقهن([2]).

ويحسن بنا في هذا الصدد أن نذكر أنه في بعض المجامع في بلدة بالهند قال أحد المنصرين مشوشا على بعض المسلمين: كيف تعتقدون في الإسراء والمعراج، وهو أمر مستبعد؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند قائلا: إن الإسراء والمعراج ليسا بأشد استبعادا من كون العذراء تحمل من غير زوج، فبهت المنصر! والأمر كذلك ليس مستحيلا عقلا إذ إن خالق العالم قادر على أن يسري بمحمد صلى الله عليه وسلم بهذه السرعة، وغاية ما في الأمر أن المعجزة تمت خلاف العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك([3]) ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدعا من أمره، بل شأنه في تأييد الله له بالمعجزات شأن سائر الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

ثانيا. إن في الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه، ودقة وصفه المسجد الأقصى، ما ينفي انتحالها من جهة، ويثبت أنها وقعت بالبدن والروح حال اليقظة من جهة أخرى:

---

[1] –السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٩، ٤٢٠.

[2] –السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤٢١.

[3] –رد افتراءات المنصرين حول الإسلام العظيم، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٨٩، ١٩٠ بتصرف يسير.

إن معجزة الإسراء والمعراج ثابتة بالكتاب والسنة، والأدلة العقلية التي تلتقي مع نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، تقوم على تأكيد حدوث هذه المعجزة يقظة، ومن أظهر هذه الأدلة:

أن هذه الرحلة لو كانت مناما لما كان فيها آية ولا معجزة، ولما استبعدها الكفار ولا كذبوه فيها، ولما ارتد بها ضعفاء الإيمان ممن أسلموا وافتتنوا بها؛ إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا بعد علمهم أن خبره إنما كان عن جسمه لا روحه، وحال يقظته لا حال منامه([1]).

فقد يقول قائل: إني رأيت أني ذهبت إلى أمريكا، ثم الهند، والصين، ثم عدت، وهو نائم على فراشه، وقد يرى أنه مات وانتقل إلى الدار الآخرة، ودخل الجنة أو النار بعد العرض على الملك الجبار، ولا يستطيع أحد أن يكذبه، فلو كان الإسراء والمعراج كذلك بالروح فقط لما كذبه المشركون؟ "وما أدري كيف يقبل الذوق السليم أن يكون الإسراء بالروح، بعد قول الله سبحانه وتعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}.

فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت {بسبحان} وهو استفتاح مشعر باستعظام ما كان من الأمر، والتعجب منه لجلاله، وذلك اللفظ لا يصح موقعه، ولا يتناسب وبلاغة القرآن الحكيم، إلا إذا كان الأمر غير معهود، ولا مقدور لأحد من البشر، ولو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضي هذا الاستعظام، وذلك التعجب؛ إذ لا خطورة في إراءة النبي آيات ربه في نومه، فإن هذا أمر يقع لكل أحد، وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجب إذا قلنا: إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذي فطرة طاهرة وعقل سليم.

ثم تراه يقول {أسرى} وهو لا يقال في النوم، كما قال القاضي عياض؛ لأن ما يقع في النوم إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما ذلك إذا أسرى به ليلا إسراء حسيا على ما هو معهود ومعروف.

ثم يقول: {بعبده} وهو نص قاطع في الموضوع؛ لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص المكون من الروح والجسد معا، ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما في قوله سبحانه وتعالى: {أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠)} (العلق)، وقوله: {وأنه لما قام عبد الله يدعوه} [الجن: ١٩] إلى غير ذلك.

ثم يقول: {لنريه من آياتنا} ويقول سبحانه وتعالى: {أفتمارونه على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)} (النجم).

ولا شك عند من له ذوق سليم، أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي أسري به إلى بيت المقدس، وأنه عرج به إلى السماوات العلا بجسمه وروحه وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى.

ونحن نستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك، أن تنظر معنا إلى قوله: {أفتمارونه على ما يرى} ثم قل بعد ذلك ماذا ترى. أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا في رؤيا منامية؟ وهل يكون في رؤيا الروح وحدها في النوم جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل والسامع، حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك المجادلات، وينوه بشأنه في

[1] –شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٩٠ بتصرف.

القرآن هذا التنويه العظيم؟ وهل عهدوا مثل ذلك في الرؤى المنامية؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك، حتى ينكروه عليه صلى الله عليه وسلم؟ لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم، ما كانت إلا لعلمهم أنه يقول إن ذلك كان يقظة لا نوما، فهذا محل الاستبعاد والاستنكار؛ لأنه غير معهود لديهم، ولا في متناول قدرتهم" ([1]).

وأبعد من القول بأن الإسراء والمعراج كانا بروحه، قول من ذهب إلى أنهما كانا في المنام، مستدلين لذلك بقوله سبحانه وتعالى: {وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} [الإسراء:٦٠]، وقالوا: إن الآية تشير إلى الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية.

وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها: «هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به، والشجرة الملعونة: شجرة الزقوم»([2]). ومراد ابن عباس برؤيا العين جميع ما عاينه ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية.

وابن عباس ترجمان القرآن، ومن أعلم الناس بالعربية، وكان إذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهدا من كلام العرب، فكلامه حجة في هذا، والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا. ومن شواهد ذلك من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعي يصف صائدا:

وكبر للرؤيا وهش فؤاده*** وبشر قلبا كان جما(كثيرا) بلابله(همومه)

على أن بعض المفسرين يري أن الآية نزلت عام الحديبية بسبب رؤيا رسول الله أنه دخل المسجد الحرام، وعلى هذا فلا تكون الآية دليلا لهم قط، ولكن الصحيح هو الأول([3]).

على أنه جاء في القصة ما هو قاطع في الموضوع، فإن النبي لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم، وقامت قيامتهم، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبا، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: لقد كان أمرك أمما(قريبا) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من كان قد دخل في الإسلام. فهل ترى أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟ بل في القصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبي عن عيرهم التي كانت فيها تجارتهم، فأجابهم بأنه مر بها وقد ند(شرد) منها بعير فانكسر ، وأنه مر بعير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء، فشربه وقد سألوهم عندما قدموا مكة، فصدقوا ذلك كله، وفي القصة أكثر من هذا.

فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن عيرهم، وعن بيت المقدس وأبوابه، وكل ما يتعلق به، إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأي علاقة بين رؤيا المنام وبين عيرهم التي تجيء من الشام([4])، على أن ثمة فرقا بين القول بإسرائه روحا والقول بإسرائه مناما، هذا الفرق يوضحه د. محمد أبو شهبة في قوله: "ومما ينبغي أن يعلم أن بعض الكاتبين في معجزتي الإسراء والمعراج يخلط بين قول من يقول: كانا مناما، وقول من يقول: كانا بالروح فقط، وبينهما فرق، فمن قال: كانا بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هي التي انتقلت وجالت في هذه المعاني المقدسة في الأرض والسماء، وأما من قال في المنام، إنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال، ومفارقة للبدن" ([5]).

---

[1] –محمد المثل الكامل، أحمد جاد المولى، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٦، ١٣٧.

[2] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣٦٧٥).

[3] – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤١١، ٤١٢.

[4] –محمد المثل الكامل، أحمد جاد المولى، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٨، ١٣٩.

[5] – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٣.

وفي كون الإسراء والمعراج بالروح والجسد يقول الإمام النووي: "والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها، إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل"، ويقول ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل" ([1]).

وليس في الأمر غرابة، لا من حيث قطع المسافة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولا من حيث صعود النبي إلى السماء، فأما من حيث قطع المسافة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في تلك المدة الوجيزة فقد يتوفر للجن، وهو الذي حدث مع سليمان وحكاه القرآن في قوله عزوجل: {قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك} [النمل: ٤٠] وحمل العرش من القصر إلى الشام أبلغ من إسراء النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا أبلغ من قطع المسافة بين المسجدين في جزء من ليلة.

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الذي عنده علم من الكتاب، ومن سليمان عليه السلام، فكان الذي خصه الله به أفضل من ذلك، وهو أنه أسري به، ثم عرج في ليلة واحدة، ليريه من آياته الكبرى، فهذا ما لم يحصل مثله لا لسليمان ولا لغيره، والجن إن قدروا على حمل بعض الناس في الهواء فلن يقدروا على إصعاده إلى السماء، وإراءته آيات ربه الكبرى، فكان ما آتاه الله لمحمد خارجا عن قدرة الإنس والجن([2])، ومما سبق نخلص إلى أن معجزة الإسراء والمعراج ثابتة بالكتاب والسنة، وكان أهل مكة جميعا شهودا على هذه المعجزة، فعندما حدثهم النبي عن هذه المعجزة، شككوا فيها واستنكروها وكذبوه، ولكنه استطاع أن يثبت لهم صحة ما أخبرهم به بأدلة واضحة لا يرقى إليها الشك؛ من ذلك:

١ –إخباره صلى الله عليه وسلم عن القافلة التي يتقدمها جمل أورق(رمادي): فحدثهم عن أشياء حدثت في الطريق، وتبينوا بعد ذلك صدق ما قاله؛ فقد سألوه عن قافلة لهم قادمة من الشام، سألوه عن مكانها، ومتى تقدم عليهم، فأخبرهم عنها وعن وقت وصولها، وقدم لهم دليلا، حيث أخبرهم أن هذه القافلة يتقدمها جمل أورق، وبعد أن تحقق أمام أعينهم كل ما أخبرهم به خرست ألسنتهم وثبتت شهادتهم على هذا الحدث العظيم الذي كان اختبارا ليقين المسلمين وتمحيصا لإيمانهم.

٢ –وصفه صلى الله عليه وسلم الدقيق للمسجد الأقصى: وكان النبي قد صلى بالأنبياء في بيت المقدس كما ثبت في الروايات الصحيحة، وعندما عاد من رحلته طلب منه أهل مكة أن يصف لهم المسجد الأقصى ليتأكدوا من صدقه، فوصفه لهم بتفاصيله كاملة، ولم يكن النبي قد رآه قبل ذلك، ولكن أهل مكة كانوا قد رأوه مرات عديدة أثناء رحلاتهم إلى بلاد الشام، فكان وصفه الدقيق للمسجد الأقصى دليلا آخر على صدقه صلى الله عليه وسلم، لم يعترض أحد من أهل مكة على ما قدمه لهم رسول الله من وصف دقيق ومفصل لهذا المكان المقدس، قال صلى الله عليه وسلم: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»([3]).

---

[1] –فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطى، مكتبة الدعوة الإسلامية، مصر، ط٧، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٢١.

[2] –النبوات، تقى الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: الشحات الطحان، مكتبة فياض، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٦٦.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (٤٤٦).

ثالثا. إن وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان جميعها محل نظر، ولا يصح تشبيه معجزة الإسراء والمعراج بمثل تلك الأفكار الفلسفية:

إن النصوص الصريحة القائمة على إثبات معجزة الإسراء والمعراج تجعل من نافلة القول أن نثبت بطلان تلك الأفكار الفلسفية، أما وقد شبهت هذه المعجزة النبوية بتلك الأفكار الفلسفية؛ فقد لزم الأمر أن نقر أن الإسراء والمعراج ليستا فكرة مثلا كوحدة الوجود من الصحة في شيء، كي نبني عليها معتقداتنا الدينية ونثبت على أساسها وننفي، ولو كان الأمر كذلك لكان عبدة الأصنام على حق، وعبدة البقر على حق، ومن عبد أي معبود بمقتضى تلك الفكرة على حق.

وغني عن الذكر أن نقول إن فكرة وحدة الوجود فكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فيما وفد إليه من آراء فاسدة لا يشهد لها عقل ولا نقل، وهي من مخلفات الفلسفات القديمة، وفيها ما فيها من أخطاء وأباطيل، وقد انتصر لها وتشيع بعض الغلاة الذين ينتسبون إلى الإسلام، وكتبوا فيها فكانت عاقبتهم الإلحاد في الله وصفاته.

وقد أبان بطلانها كثير من علماء الأمة الراسخين في العلم، المتثبتين في العقيدة، والقول بها يؤدي إلى القول بالطبيعة، وقدم العالم، وإنكار الألوهية وهدم الشرائع السماوية التي قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق، وبين وجود الرب، ووجود العبد، وتكليف الخالق للخلق بما يحقق لهم السعادة، ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد، فليس هناك خالق ولا مخلوق، ولا عابد ومعبود، ولا قديم وحادث، وعابدو الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق؛ لأن وجودها الحق، إلى آخر خرافاتهم التي ضلوا بسببها وأضلوا غيرهم، والتي أضرت بالمسلمين، وجعلتهم شيعا وأحزابا، ولقد بلغ من بعضهم أنه قال: إن النصارى ضلوا؛ لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة، ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين، وقال بعض معتنقي الفكرة: العبد حق، والرب حق*** يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت: عبد فذاك رب*** أو قلت: رب أنى يكلف؟

قال الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني في بعض كتبه بعد أن ذكر الفناء المحمود، والفناء المذموم: "ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء عن وجود السوى فجعلوا الموجود واحدا، ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق، وحقيقة الفناء عندهم ألا يرى إلا الحق، وهو الرائي والمرئي، والعابد والمعبود، والذاكر والمذكور، والناكح والمنكوح، والآمر الخالق هو المأمور المخلوق وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم، وعباد الأصنام ما عبدوا غيره، وما ثم موجود مغاير له ألبتة عندهم، وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين!

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون: إن فرعون أكمل من موسى، وإن فرعون صادق في قوله: "أنا ربكم الأعلى"؛ لأن الوجود: فاضل ومفضول، والفاضل يستحق أن يكون رب المفضول، ومنهم من يقول: إنه مات مؤمنا، وإن إغراقه كان ليغتسل غسل الإسلام"، فالحق أن فكرة وحدة الوجود فكرة زائفة، تصادم نصوص الدين القطعية، ولا يدل عليها شيء من قرآن أو سنة، وأن العقيدة الإسلامية السمحة براء من مذهب "وحدة الوجود"، تفسير الإسراء والمعراج بهذا يلزم إنكار النصوص أو تحريفها: ثم إن تفسير الإسراء والمعراج بهذه الفكرة أو غيرها، وتصويرهما هذا التصوير الذي ارتضاه المدعي يقتضي إنكارها على حسب ما جاء به القرآن القطعي، والسنة الصحيحة المشهورة، فليس ثمة إسراء حقيقة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بذات النبي وليس هناك عروج بالنبي من بيت المقدس إلى السماوات السبع وما فوقهن، ولا صلاة بالأنبياء، ولا لقاء ولا تسليم، ولا تكليم من الله لنبيه، وإنما كل ذلك تمثيل وتقريب على حد زعمهم.

وما الداعي إلى ذلك ما دام الكون كله قد اجتمع في روح النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال صاحب الرأي: فالمسجد الحرام في روحه، والأقصى في روحه، والسماوات وما فيهن في روحه، ووجودها في وجوده! ثم ما الداعي إلى كل هذا التكلف والإغراب المدعى في فهم نصوص صريحة جاءت بلسان عربي مبين؟! وما الذي حدا بهؤلاء الأدعياء إلى أن "يشطحوا" هذه "الشطحات" التي لا داعي إليها؟! إن الإسراء والمعراج كما جاء بهما القرآن والأحاديث الصحاح أقرب منالا، وأشد استساغة لعقول الناس مما ذهب إليه المدعون، ولو جلست زمانا لتفهم رجلا أميا أو متعلما، بالإسراء والمعراج على ما رأى هؤلاء ما أنت بمستطيع إفهامه هذه الألغاز والطلاسم التي حاول المدعون بها إحداث رأي جديد.

وهل تصوير الإسراء والمعراج بهذا التصوير إلا إشكال على عقول الكثرة من الناس، ومخاطبة لهم بما لا تبلغه عقولهم ومداركهم، وقد أمرنا أن نحدث الناس بما يعقلون وأن ندع ما ينكرون، وفي الحكم الذهبية عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم»[1]، والحق أن الإغراب على القراء بمثل هذه الأفكار المسمومة، والآراء الشاذة الغريبة تشكيك لهم في عقائدهم الصحيحة، وتسميم لعقولهم، وانحراف بهم عن فطرتهم السليمة، والحق أبلج لا يحتاج إلى تكلف، وتفلسف من غير داع وقد حكى القرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم: {وما أنا من المتكلفين} [ص: ٨٦] [2].

الخلاصة: إن الإسراء والمعراج من الأمور العجيبة والمدهشة حقا، ولكن العجب والدهشة شيء وإنكارها شيء آخر، وقد تكون محيرة للعقل ولكنها ليست مستحيلة في منطق الوحي، وإلا فكيف نفسر عقلا إحياء عيسى للموتى، وانبجاس الحجر ماء لموسى، وكيف تفسر عقلا ما فعلته عصا موسى مع فرعون، ومعلوم أن الرسول جاء بما يحير العقول وليس بما تتخيله العقول، فالإسراء والمعراج من الأمور التي لا يرفضهما العقل والبحث العلمي، فقد استطاع الإنسان في العصر الحديث أن يغزو الفضاء بعلمه وقدرته المحدودتين، فكيف يستبعد عن الخالق أن يسري بنبيه وأن يعرج به إلى السماء وهو القادر على كل شيء وهو الذي يقول للشيء كن فيكون، وليست معجزة الإسراء والمعراج رؤيا منامية كما يدعي المشككون؛ لأن رؤيا المنام من الأمور المعتادة التي لا تستنكر، ولو كانت كذلك لما وجد كل هذا الاعتراض من كفار قريش على النبي ولما ارتد بعض من دخل في الإسلام، ترى هل كل هذا يحدث بسبب رؤيا منامية؟! وإن القول بأن معجزة الإسراء والمعراج ضرب من الأفكار الفلسفية مثل وحدة الوجود، قول باطل وتزييف للحق؛ لأن هذه الأفكار الفلسفية لا أصل لها في الإسلام، ولا دليل عليها من عقل أو نقل، وأكثر من يقول بهذه الأفكار هم الملحدون الذين ينكرون الألوهية، فلا يمكن تشبيه معجزة من أعظم المعجزات التي حدثت للنبي بمثل هذه الأفكار، وقد أثبت النبي صدق حديثه عن هذه المعجزة بأدلة واضحة أخرست ألسنة أهل مكة، وأفحمتهم، ومن ذلك: وصفه المسجد الأقصى وصفا دقيقا، فكان هذا الوصف دليلا آخر على صدقه، يجزم بكونها حال اليقظة لا المنام، وبالبدن والروح لا بالروح فحسب.

---

[1] -أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١٤).

[2] – السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٤: ٤١٧.

سادسا: الزعم أن معجزة الإسراء والمعراج خرافة مستوحاة من التراث الفارسي والأوربي([1])

يدعي بعض المغرضين أن معجزة الإسراء والمعراج مستوحاة من التراث الفارسي الوارد في كتاب الأساطير الفارسية باللغة الفهلوية، وكذلك من الأدب الأوربي وبخاصة ملحمة دانتي، ويتساءلون: ما الجديد الذي جاء به رسول المسلمين، وما وجه الإعجاز فيه؟!

١-إذا سلمنا بأن الإسراء والمعراج قصة مستوحاة من التراث الفارسي والأوربي، فكيف للنبي الأمي أن يقتبس من تراث لا يعرف لغته؟ ولم لم يرد أهل هذا التراث على الاقتباس من تراثهم؟ أما من قالوا إنها مقتبسة من الأدب الأوربي متمثلا في ملحمة دانتي، فإن التاريخ يرد هذا الزعم؛ لأن دانتي متأخر زمنيا، فكيف يقتبس المتقدم من المتأخر؟!

٢-أخذا بمقولة: الحق ما شهدت به الأعداء، نسجل أن أحد بطاركة الروم بمسجد إيلياء يشهد بأنه علم تلك الليلة التي أسرى الله فيها بنبيّه إلى بيت المقدس، وهو دليل قوي على صحة إسرائه صلى الله عليه وسلم ومعراجه.

٣-معجزة الإسراء والمعراج ثبتت بالقرآن والسنة الصحيحة ثم إنها لا تعظم بحال من الأحوال على قدرة الله المطلقة

أولا. كيف يتأتى للأمي أن يقتبس من تراث أجنبي؟

نقول للذين يزعمون أن حادث الإسراء والمعراج، استوحاه النبي من مصادر فارسية أوربية: حنانيكم؛ إن النبي كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يعرف اللغة الفارسية، ولم يطلع على آدابها، وحتى لو سلمنا جدلا أن قصة الإسراء والمعراج لها نظير في الفارسية، فعند الرجوع إلى الملحمة الفارسية نجد أنها مختلفة تماما عن "الإسراء والمعراج" النبوي؛ وذلك أنه يوجد في الملحمة أن من الأنبياء والملائكة من أرسلهم الله إلى الجحيم عقابا لما ارتكبت أيديهم من إثم، فهل هذا يعقل؟! وهل مجرد التشابه بينهما هو مؤشر وحدة الزمان والمكان ووحدة الموضوع التي تتوافر في الملاحم؟

وعندما نعود إلى حادثة الإسراء والمعراج نجد أن أحداثها موثقة تاريخيا، ونجد أحداثا واقعية، كالمشاهد التي رآها الرسول وحدثت بالفعل، مثل وصفه للقافلة العائدة إلى قريش، والبعير الذي ضل منها، ثم وصفه للمسجد الأقصى وصفا دقيقا لأهل مكة، وهم على دراية تامة به... إلخ، فبالبحث وجدنا اختلافا كبيرا بين الملحمة الفارسية، وحادثة الإسراء والمعراج، وأيضا عند مناقشة ما جاء في الكتاب المقدس من صعود "أخنوخ وإيلياء" والمسيح إلى السماوات، وصعود هؤلاء الثلاثة لا دليل على ذكره إلا في الكتاب المقدس.

لقد كذب مثيرو هذه الشبهة بصعود الرسول في قصة الإسراء والمعراج، رغم قيام الأدلة الثابتة من القرآن، يقول سبحانه وتعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} وثمة أحاديث صحيحة تدل على صدق حدوث هذه الرحلة "الإسراء والمعراج".

ولا وجه للمقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس؛ لأن القرآن يتحدث عن الواقع، ويثبت التاريخ ما جاء في القرآن الكريم وإذا كانت قصة الإسراء موضع إنكار؛ لتشابهها في زعمهم مع بعض الوقائع الأسطورية في ثقافات سابقة لم يطلع عليها النبي لأميته ولم يطلع عليها قومه كذلك فعقيدتكم في المسيح من أولها إلى آخرها متشابهة، بل متطابقة تمام التطابق مع عقيدة الهنود([2]).

---

[1] - مصادر الإسلام، زكريا بطرس، قناة الحياة. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، د. إدوار جيبون، ترجمة: محمد سليم سالم، دار الكتب المصرية، القاهرة،

[2] -عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، د. م، د. ن، د. ت، ص١١٧، ١١٨، وقد أخذ النصارى عقيدتهم في صلب المسيح من الهنود في "كرشنا" إلههم

ينشر البعض أن حادثة الإسراء والمعراج نقلها محمد عن الكاهن المجوسي الفارسي (اردافيراف نامك!!)، ورحلة "اردافيراف" بالأنكليزية (arda wiraz namag) ينص موقع وكيبيديا على التالي: (هو نص فارسي قديم زرادشتي مكتوب باللغة البهلوية القديمة ويحكي قصة شاب اسمه "أردافيراف" اختاره قومه وأرسلوا روحه إلى السماء. ووقع على جسده سُبات. وكان الهدف من سفره إلى السماء أن يطَّلع على كل شيء فيها ويأتيهم بنبأ. فعرج هذا الشاب إلى السماء بقيادة وإرشاد رئيس من رؤساء الملائكة اسمه «سروش» فجال من طبقة إلى أخرى وترقى بالتدريج إلى أعلى فأعلى. ولما اطلع على كل شيء أمره «أورمزد» الإله الصالح (سند وعضد مذهب زردشت) أن يرجع إلى الأرض ويخبر الزردشتية بما شاهده).

كيف يدّعون أن هذا الخيال يشبه حادثة الإسراء والمعراج في الإسلام، وهو إدعاء كاذب لأن هذه القصة كتبت في القرن ٩_١٠ أي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة قرون، حيث تقول (الموسوعة الإيرانية) وهي من أكبر و أوثق الموسوعات الذي تتحدث عن التاريخ الفارسي، فماذا تقول عن هذه القصة الملفقة: "Wīrāz-nāmag, like many of the Zoroastrian works, underwent successive redactions.It assumed its definitive form in the 9th-10th centuries A.D., as may be seen in the text's frequent Persianisms"

الترجمة: "وقد خضعت ويراز-ناماج (ويرزا هو نفسه اردافيراف) مثل العديد من الأعمال الزرادشتية، لإصلاحات متتالية، وقد تولى شكله النهائي في القرنين التاسع والعاشر الميلادي، كما يمكن أن يرى في الفارسيات المتكررة للنص".

أما الضربة القاضية لكل احمق هي قولهم (١) "Some influences, transmitted through Islam, may have been exerted on the latter, but these remain to be fully demonstrated"

الترجمة: وقد تكون بعض التأثيرات التي نقلت عن طريق الإسلام وقد ارتكبت على هذه الأخيرة ولكن لا يزال يتعين إثباتها تماما، فقد انتفى وجود أية مخطوطات تعود لزمن ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أنه لم تختص الزرادشتية أو تتفرد بما ورد ونقل عنها لتكون هي الديانة السابقة به.

"Some scholars believe that this text was actually written in the 9th Century i.e. after the fall of the Sasanian dynasty "(٢)، الترجمة :" و يعتقد بعض العلماء أن هذا النص كتب في الواقع في القرن التاسع أي بعد سقوط السلالة الساسانية"... ثم يقول النص: " من المعروف أن كل الأدب البهلوي مكتوب متأخرا، تقريبا بعد الغزو الإسلامي، وأنه نقل مع ذلك تقاليد قديمة للغاية لنا، من ساسانين وحتى قبل ساسانيون مرات .... واحد أيضا يحتاج إلى ملاحظة أن لم يكن ينظر إلى التقليد المكتوب بخط اليد في إيران أبدا على أنه بيانات جامدة وغير قابلة للنقاش ونهائية من حيث عمليات الإعدام المتعاقبة التي خضعت لها النصوص، ... خضع هذا الكتاب العديد من التعديلات حتى الكتابة النهائية، تم كتابة المقدمة في وقت لاحق إلى الفتح الإسلامي. ولكن التكيف مع النص لأغراض الدعاية الدينية في ذلك الوقت، عندما كان لا بد من دعم مازدايم ضد هجمات الإسلام، وأن الصياغة النهائية للنص يمكن أن يكون متأخرا للغاية" (٣)

---

١ - http://www.iranicaonline.org/articles/arda-wiraz-wiraz-

٢ - مصدر: http://tenets.zoroastrianism.com/zsaint33a.html

٣ - M. Boyce, "Middle Persian Literature", Handbuch Der Orientalistik .

لقد طرح المستشرق الاسباني اسين بلاسيوس([1]) مسألة كوميديا دانتي والمؤثرات الإسلامية طرحا علميا في مطلع القرن العشرين، فأحدث هزة كبيرة في حقل الدراسات المقارنة، وركز بلاسيوس على القرائن النصية بين ملحمة دانتي وجملة الأعمال الإسلامية، وفي صدارتها قصة "الإسراء والمعراج"، بالإضافة إلى مؤلفات أدبية وصوفية، ولقد اعتقد بلاسيوس أنها أثرت في الشاعر الإيطالي، وعندها اعترض المستشرقون الطليان، وبخاصة أنصار الدراسات المتعلقة بدانتي بشكل عام؛ لأنهم يستكبرون أن يكون شاعر أوربا المسيحية مدينا بعبقريته إلى التراث الإسلامي.

ولكن هذه المناظرة التاريخية بين أنصار دانتي وخصومهم، لم تقف عند القرائن النصية، ففي عام ١٤٤٩م، قام عالمان جليلان بنشر مخطوط لترجمة قصة "الإسراء والمعراج" برعاية الفونسو العاشر الملقب بالحكيم في عام ١٢٦٤م، في مدرسة إشبيلية للترجمة، هذان المستشرقان هما: الإسباني خوزي مونيث سندينو، والطلياني ازيكوتشيرولي، دون أن يعرف كل منهما مشروع الآخر، واعتمد كل منهما على المخطوطات الموجودة في مكتبة أكسفورد أو مكتبة الفاتيكان، وأضاف سندينو بناء الترجمة باللغة الأسبانية الحديثة، وكان د. نذير العظمة من أوائل من نبهوا إلى هذه الترجمات التي اطلع عليها من خلال ما قدمه المستشرق سندينو، فنشرها في مجلة وزارة الثقافة السورية عام ١٩٧٩م، وترجمت عن الفرنسية القديمة عناوين رؤوس موضوعات نسخة "قصة الإسراء والمعراج الأندلسية" التي تمت ترجمتها برعاية الفونسو العاشرقبل أن يبدأ دانتي مخطوط الجزء الأول من ملحمته الشعرية عام ١٣٠٥م.

وقد أشار إلى ذلك د. محمد غنيمي هلال في كتابه "الأدب المقارن"، وقام د. صلاح فضل بطرح الموضوع في كتابه "مؤثرات الثقافة الإسلامية" بشكل موسع.

نستنتج من ذلك أن هناك من المصادر الإسلامية المتعددة ما كان مترجما إلى اللاتينية والفرنسية والإسبانية، وهذه المصادر كانت موجودة في مكتبات أكسفورد والفاتيكان قبل أن يكتب دانتي الجزء الأول من ملحمته بأربعين عاما، وهذا يدل على تأثر دانتي بالمصادر الإسلامية، وعلى رأسها "قصة الإسراء والمعراج"، ونستخلص من هذه الدراسات كلها أن دانتي قد تأثر في الكوميديا الإلهية بالأوليات الإسلامية الخاصة برحلة "الإسراء والمعراج" المترجمة في مكتبات أكسفورد والفاتيكان عن طريق الأندلس والمغرب العربي، فالطبيعي إذن أن المتأخر زمنا (دانتي) هو من يقتبس من المتقدم حدث الإسراء والمعراج وليس العكس.

ثانيا. شهادة بطريرك الروم على صحة معجزة الإسراء والمعراج:

وإذا عدنا إلى التاريخ وجدنا ما يثبت حدوث "قصة الإسراء والمعراج" للرسول صلى الله عليه وسلم، فعندما أرسل الرسول دحية بن خليفة إلى قيصر الروم هرقل، وكان هرقل صاحب عقل موفور، استدعى هرقل من بالشام من التجار العرب، فجيء بأبي سفيان بن حرب، وكان وقتئذ على الكفر ومعه أصحابه، فسألهم عن تلك المسائل التي يحدث بها محمد صلى الله عليه وسلم، فكان أبو سفيان يجتهد أن يحقر أمر النبي ويصغره عند هرقل([2])

وقال في هذا السياق: أيها الملك، ألا أخبرك خبرا تعرف به أنه كذب كذبة عظيمة، قال: ما هو؟ قال: إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا الحرام في ليلة، فجاء مسجدكم هذا (مسجد إيلياء) ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح! قال: وبطريرك إيلياء عند رأس القيصر، فقال بطريرك إيلياء: قد علمت تلك الليلة، قال: فنظر إليه قيصر وقال: وما علمك بهذا؟ قال: إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق المسجد، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني،

[1] -دانتي ومؤثرات المعراج بالنص والوثيقة، د. نذير العظمة، موقع www.suhuf.net. sa١٩٩٩٩

[2] -ذكره ابن كثير في تفسيره والسيوطي في الدر المثور، أنظر: أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، عند تفسير سورة الإسراء.

فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني كلهم، فغلبنا، فلم نستطع أن نحركه، كأنما نزاول جبلا، فدعوت إليه النجاجرة، فنظروا إليه وقالوا: إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان، ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى، قال: فرجعت وتركت البابين مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما، فإذا المجر الذي في زاوية المسجد مثقوب، وإذا فيه أثر مربط الدابة، قال: فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلى الليلة في مسجدنا.

ومن هذه القصة نستنتج أن حادثة الإسراء والمعراج قد حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم من خلال روايات التاريخ، بالإضافة إلى مشاهد الواقع، وإخبار القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كما سيتضح من الوجه الآتي:

ثالثا. معجزة الإسراء بالقرآن والسنة لا تعظم على قدرة الله المطلقة:

من الأمور المعلومة من الدين الإسلامي بالضرورة كون معجزة الإسراء والمعراج ثابتة بالقرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة([1]) يقول سبحانه وتعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}، والإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلا أخبر بهما الصادق المصدوق في القرآن الكرم المتواتر، وفي الأحاديث الصحيحة، فوجب التصديق بوقوعهما، ومن ادعى استحالتهما وكونهما خرافة فعلية البيان، وهيهات ذلك.

ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة، وصواريخ جبارة، تقطع آلاف الأميال في زمن قليل؟ فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك، أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه صلى الله عليه وسلم "براقا" يقطع هذه المسافة في زمن أقل من القليل([2])؟!

إن الرسول عندما أخبر أهل مكة، وأظهرهم على ما تم له في ليلة الإسراء والمعراج، أوغلوا في التكذيب، ثم طلبوا منه طلبا معجزا، ألا وهو أن يصف لهم المسجد الأقصى، إذا كان صادقا، والنبيلم يكن رآه من قبل، فجاء جبريل له بالمسجد فوصفه ونعته نعتا دقيقا ثم سألوه عن حال عيرهم، فجاء بحديث لا مجال للحدس فيه والتخمين، وأخبرهم أنها راجعة من الشام مع شروق الغداة، فكان ما قال حقيقة ناصعة واقعة، فكان هذا برهانا قاطعا على صدقه فيما حدث به في هذا النبأ العظيم.

الخلاصة: كيف يتأتى للنبي صلى الله عليه وسلم الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة أن يطلع على التراث الفارسي، ويستوحي منه "قصة الإسراء والمعراج"؟! ثم هل يمكن أن يستوحي ما جاء فيها من رجل دانتي أتى بعده بقرون عدة؟! شهادة أحد بطاركة الروم بعلمه بليلة الإسراء والمعراج أحد الأدلة التي تثبت صدق هذه المعجزة، فضلا عن ثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولا تعظم على قدرة الله عز وجل المطلقة، ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم براهين قاطعة على صدقه فيما حدث به عن الإسراء والمعراج.

---

[1] -انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤٢١: ٤٢٨.

[2] -السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٩.

سابعاً: دعوى أن أحاديث "النيل والفرات من الجنة " تخالف الواقع([1])

يطعن بعض المشككين في الأحاديث التي ذكرت أن النيل والفرات من الجنة، والتي جاءت في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن، فقد روى البخاري في صحيحه في حديث المعراج الطويل أن النبي قال: «ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها(ثمرها)مثل قلال هجر(بلدة)، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان ياجبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»، وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان»، ويستدلون على بطلان هذه الأحاديث بأنها تخالف الواقع المشاهد، إذ ثبت أن نهر النيل يتدفق من الحبشة لا من الجنة كما تقول الأحاديث، ويتساءلون: هل الجنة في الحبشة حتى ينبع منها النيل؟ وكذلك الفرات فهو نابع من الأرض لا من الجنة، ويزعمون أن هذه الأحاديث أخذها أبو هريرة عن كعب الأحبار، فهي من الإسرائيليات المدسوسة على الإسلام، رامين من وراء ذلك إلى الطعن في الأحاديث الصحيحة.

وجها إبطال الشبهة:

١ –إن الأحاديث التي جاء فيها أن «النيل والفرات من الجنة» صحيحة في أعلى درجات الصحة، فقد اتفق عليها الشيخان، ولا تعارض الواقع في شيء؛ إذ إنها جاءت على سبيل التشبيه، بأنها تشبه الجنة في صفتها وعذوبتها وكثرة خيراتها، أو أن أصل النيل والفرات في الجنة، ولهما مادة من الجنة، وهذا الأخير لا يمنعه العقل، بل يشهد له ظاهر النصوص، وهو المعتمد.

٢–إن الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النيل والفرات لا يشبه حديث كعب في شيء، والأقرب للصحة أن يكون حديث كعب تفسيرا لحديث أبي هريرة، عملا بقوله عز وجل: {مثل الجنة التي وعد المتقون...}[محمد: ١٥] ، فدل هذا على بطلان القول أنه من الإسرائيليات.

أولا. صحة حديث "النيل والفرات من الجنة"، وعدم مخالفته الواقع:

إن حديث النيل والفرات من الجنة صحيح في أعلى درجات الصحة؛ فقد رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، فهو متفق على صحته عندهما، وكل ما في الصحيحين هو صحيح بإجماع الأمة على ذلك، وقد روى البخاري هذا الحديث: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة في باب المعراج في حديث طويل أن النبي حدثه عن ليلة أسري به قال: «... ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات...»([2]) الحديث.

وروى مسلم أيضا في صحيحه عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أنه قال: «... وحدث نبي الله أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: ياجبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان

---

[1] –كيف نتعامل مع السنة النبوية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م. الأنوار الكاشفة، المعلمي اليماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[2] –صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٤٢)، رقم (٣٨٨٧).

فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات...»([1]) الحديث، وروى أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «سيحان وجيحان والنيل والفرات وكل من أنهار الجنة، قال عبد الله: قال أبي: قال أبو أسامة: كل من أنهار الجنة»([2]).

فكان من هذه الروايات أن النبي قاله حقيقة، وهو صحيح دون أدنى شك في ذلك من ناحية سنده، أما متنه فهو لا يعارض الواقع في شيء، وما كان لنبي الله أن ينطق بشيء يخالف الحقيقة أبدا، وهو الذي قال عنه الله عز وجل: {وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)}(النجم)، أما ما ادعاه المشككون من تعارض ما جاء به الحديث مع الواقع، فهذا من الجهل الصارخ؛ إذ لو تواضع هؤلاء قليلا كما يقول الدكتور القرضاوي ورجعوا إلى شراح الأحاديث، أو سألوا العلماء المتضلعين لبان لهم الحق كالصبح لذي عينين، ولكن الكبر والغرور من أعظم الحجب عن رؤية الحقيقة([3]).

وقد ذهب شراح الحديث في ذلك مذاهب عدة، فقال بعضهم: الحديث ليس على حقيقته، وإنما الكلام على سبيل التشبيه، وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفتها وعذوبتها، وكثرة خيراتها ونفعها للناس، وهو تأويل مقبول ومستساغ لغة وشرعا، ومن تتبع كلام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يجد من أمثال ذلك الشيء الكثير، فتلك الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنة، كما تقول في اليوم الطيب: هذا يوم من أيام الجنة، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «...واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»([4]) ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: «الحجر الأسود من الجنة»([5]).

وقال بعضهم: "إن في الكلام حذفا، والتقدير من أنهار أهل الجنة، ففيه تبشير من النبي أن الله سينجز له وعده، وسينصره، وسيظهر له دينه على الأديان حتى يبلغ مواطن هذه الأنهار الأربعة وغيرها إذ ذكرها على سبيل التمثيل لا الحصر وهذا ما كان، فلم يمض قرن من الزمان حتى امتد سلطان الإسلام من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند"([6]).

قال ابن حزم عند تعليقه على حديث الروضة وهذا الحديث: "وهذان الحديثان ليس على ما يظنه أهل الجهل من أن تلك الروضة قطعة منقطعة من الجنة، وأن هذه الأنهار مهبطة من الجنة، هذا باطل وكذب؛ لأن الله عز وجل يقول في الجنة: {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (١١٩)} (طه)، فهذه صفة الجنة بلا شك، وليست هذه صفة الأنهار المذكورة ولا تلك الروضة، ورسول الله لا يقول إلا الحق، فصح أن كون تلك الروضة من الجنة إنما هو لفضلها، وإن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة، وإن تلك الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنة، كما تقول في اليوم الطيب: هذا من أيام الجنة، وكما قيل في الضأن: إنها من دواب الجنة"([7]).

وعليه فقد جاء هذا الحديث على سبيل التمثيل، "فقد مثل له النبيّ النيل والفرات هنالك تمثيلا، كما مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط وهو قائم يصلي... وكما مثل له عيسى ابن مريم والمسيح الدجال، أحدهما يتبع الثاني، وكما مثل له موسى وهو راكب حاجا ينحدر من الوادي. وأمثاله كثير... وقد ذهبت طوائف من العلماء إلى أن ذلك كله

---

[1] -صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول اللهﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، (٢/ ٦٠٥، ٦٠٦)، رقم (٤٠٩).

[2] -قال الإمام النووي: اعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة في بلاد الأرمن، فجيحان نهر المصيصة، وسيحان نهر أذنة، وهما نهران عظيمان جدا... وأما قول الجوهري في "صحاحه": جيحان نهر بالشام، فغلط... انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (٩/ ٣٩٥١)، صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، (١٨/ ٢٠٠)، رقم (٩٦٧٢). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

[3] -كيف نتعامل مع السنة النبوية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م،ص١٨٦ بتصرف.

[4] -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)(٦/ ١٤٠)، رقم (٢٩٦٦). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (٧/ ٢٧١٢)، رقم (٤٤٦١).

[5] -صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٣٩٧٤). وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[6] -دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٤٣.

[7] -المحلى، ابن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، د. ت، (٧/ ٢٨٣، ٢٨٤).

على سبيل التمثيل والتصوير، فكذلك حديث النيل والفرات مثلا له في السماء قرب سدرة المنتهى فرآهما، فهذا الرأي يساير الحس والعقل والشرع واللغة، ولا يخالف منها واحدا، فلزم حمل الخبر عليه ولا مندوحة عنه.

ولله سر في تمثيل هذين النهرين له صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة العظيمة"([1])

فإن قيل: كيف طريق الجمع بين رواية: «إن النيل والفرات عند سدرة المنتهى أصلهما في السماء السابعة» ورواية: "أنهما في السماء الدنيا لذكره عنصرهما، وهو أصلهما؟" ففي رواية مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأى في أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسأل عنهما جبريل فقال: «...أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات...»الحديث.

وجاء في رواية شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: "«... فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران ياجبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما...»([2]).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "وظاهر هاتين الروايتين متغاير، والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة، ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة، وأراد أن أصل نبعهما (النيل والفرات) من تحت سدرة المنتهى، ومقرهما في السماء الدنيا، ومنها ينزلان إلى الأرض، والعنصر هو الأصل. أما الباطنان فهما السلسبيل والكوثر"([3]).

"قال الحافظ ابن دحية: ولنا في التأويل وجهان سديدان:

أحدهما: أن يكون محمولا على ظاهره، ويكون معناه: أنه لما رأى عند سدرة المنتهى هذين النهرين مع نهري الجنة، وذلك في السماء السابعة، ورأى في السماء الدنيا هذين النهرين دون نهري الجنة كان لاختصاصهما بسماء الدنيا أصل من حيث الاختصاص، وهو الامتياز لهما دون نهري الجنة، سمى ذلك الامتياز والاختصاص عنصرا، أي عنصر امتيازهما، واختصاصهما، فهذا وجه سديد.

والوجه الثاني: أن يكون عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق، لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ، لكن من حيث العهد، ويكون معناه: هذا النيل والفرات، فيتم الكلام، ثم يكون عنصرهما ماكنت رأيت عند سدرة المنتهى يا محمد، فاكتفى بالعهد السابق عن إعادة الكلام، وهذا وجه سديد أيضا. وقد صح الجمع بين الحديثين، فلم يتعارضا ولم يتنافيا ولم يتناقضا"([4]).

وأما قوله في صحيح مسلم: «سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل، كل من أنهار الجنة»([5])، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «فجرت أربع أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان وجيحان»[6] قال الحافظ ابن حجر: فلا تغاير هاتين الروايتين ما قبلهما؛ لأن المراد بهما أن في الأرض أربعة أنهار أصلها في الجنة، وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك، وأما الباطنان في الحديث الطويل، فقد تبين من قبل أنهما السلسبيل والكوثر، فهما غير سيحون وجيحون([7])

---

[1] –مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص٨٨.

[2] – صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التوحيد، باب: قوله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليما)، (١٣/ ٤٨٦)، رقم (٧٥١٧).

[3] –فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (٧/ ٢٥٤).

[4] –السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، (٢/ ٥٩،٦٠).

[5] –صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، (٩/ ٣٩٥١)، رقم (٧٠٢٨).

[6] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، (١٣/ ٢٧٣)، رقم (٧٥٣٥). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

[7] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، (٧/ ٢٥٤، ٢٥٥)

ولا يلزم من هذا أن يكون أصل السدرة في الأرض، فإن المراد بكونهما – النيل والفرات – يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض، والحاصل أن أصلها في الجنة، والنيل والفرات يخرجان أولا من أصلها، ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض، ثم ينبعان، واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة، وكذا سيحان وجيحان.

ثانيا. الحديث الوارد في أن النيل والفرات من أنهار الجنة ليس من الإسرائيليات في شيء:

إن الزعم بورود حديث "النيل والفرات من الجنة" في التوراة في "سفر التكوين" لا يعد دليلا على أنه مأخوذ من الإسرائيليات؛ إذ ليس في العقل ولا في الشرع ما يمنع من أن تتوافق الرسالات في بعض التشريعات، وما حرف من الكتب السماوية السابقة لا يعني تحريف جميعها، والقرآن الكريم بحكم أنه سالم من التحريف والتبديل، فهو المهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل، وليس العكس كما يزعم أعداء السنة الشريفة.

يقول د.محمد أبو شهبة: "وبقليل من التأمل يتبين لنا أن ادعاء تأثر أبي هريرة فيما رواه كعب بعيد، ولا يعدو أن يكون تظننا وتخمينا، فالحديثان متغايران، والأقرب أن يكون كلام كعب تفسيرا لحديث أبي هريرة على ضوء ما فهمه من قوله عز وجل: {مثل الجنة التي وعد المتقون...} [محمد: ١٥]"[١].

وهذا ما أكده د.عماد الشربيني قائلا: "وحديث كعب يقول: «أربعة أنهار من الجنة، وصفها الله في الدنيا، النيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة»، وهو متغاير تماما عن حديث أبي هريرة الذي معنا، والأقرب أن يكون كلام كعب تفسيرا لحديث أبي هريرة على ضوء ما فهمه من قوله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم} [محمد: ١٥][٢].

وبناء على ما سبق فإن الأحاديث التي دلت على أن النيل والفرات من أنهار الجنة أحاديث صحيحة في أعلى درجات الصحة، لا يشك أحد أنها خرجت من مشكاة النبوة، وهي لا تخالف العقل أو الواقع في شيء؛ إذ المقصود أنهما يشبهان أنهار الجنة في صفتها، وعذوبتها، وكثرة خيراتها، فقوله صلى الله عليه وسلم محمول على التشبيه لا على الحقيقة؛ ورأى بعض الأئمة أن النيل والفرات اللذين قصدهما النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث هما نهران في الجنة غير النهرين اللذين في الدنيا، وبهذا يزول الإشكال في الحديث.

ونختم حديثنا بكلمة طيبة للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة عن هذا الحديث إذ يقول: "وأيا كان التأويل، فالحديث مستساغ لغة وشرعا، وقد كان الصحابة بذكائهم، وصفاء نفوسهم، وإحاطتهم بالظروف والملابسات التي قيل فيها هذا الحديث وأمثاله يدركون ما يريده النبي من مثل هذا الحديث الذي قد يشكل ظاهره على البعض، ولذلك لم يؤثر عن أحد منهم على ما كانوا عليه من حرية الرأي والصراحة في القول استشكال مثل هذا الحديث"[٣]

الخلاصة:

١ –إن الأحاديث القائلة بأن النيل والفرات من أنهار الجنة أحاديث صحيحة في أعلى درجات الصحة، فقد رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما في أكثر من موضع، فهي أحاديث متفق على صحتها إلى جانب رواية أصحاب السنن والمسانيد لها في كتبهم.

---

[١] –دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٤٣.

[٢] –السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، (٢/ ٦١).

[٣] –دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٤٣.

٢ –إن حديث «النيل والفرات الجنة» لا يخالف الواقع في شيء، فالمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: «النيل والفرات من أنهار الجنة»، أي تشبه أنهار الجنة في صفتها وعذوبتها ونفعها، فأضيفت صفة الجنة إليهما، كما نقول مثلا: العجوة من الجنة لفضلها، وكذلك هذا يوم من أيام الجنة لفضله وغير ذلك.

٣ –رأى بعض العلماء أن المقصود بالحديث: أنهار أهل الجنة، ففيه تبشير للنبي أن الله سيفتح عليه تلك البلاد، وتصبح هذه الأنهار للمسلمين الذين يسكنون الأرض التي فيها هذه الأنهار.

٤ –لقد أجمع المحققون من أهل العلم مثل الحافظ ابن دحية، والحافظ النووي، والحافظ ابن حجر على أن الأرض بها أربعة أنهار أصلها من الجنة، أي لها مادة من الجنة، وظاهر النصوص يدل على هذا، وهو المعتمد عند أهل السنة، ولا يعني هذا أن سدرة المنتهى في الأرض كما توهم بعض الناس، بل إن حاصل هذا أن أصل هذه الأنهار من الجنة، ومنبعها في الأرض.

٥ –إن الزعم بأن أبا هريرة أخذ هذا الحديث عن كعب الأحبار زعم باطل؛ إذ إن هناك اختلافا بينا بينهما، والصحيح أن قول كعب جاء تفسيرا لقوله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم} [محمد: ١٥]، وليس في العقل ولا في الشرع ما يمنع أن تتوافق الشرائع في بعض التشريعات، وما حرف من الكتب السماوية السابقة لا يعني تحريف جميعها، والقرآن الكريم بحكم أنه سالم من التحريف والتبديل؛ فهو المهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل.

ثامنا: أن موسى عليه السلام كان وصيا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته([1])

يدعي بعض المتوهمين أن موسى كان وصيا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، ويستدلون على ذلك بما حدث ليلة الإسراء والمعراج من موسى بعد ما أخبره محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله فرض على أمته خمسين صلاة، فأوصى موسى محمدا عليهما الصلاة والسلام أن يرجع إلى ربه، ويسأله التخفيف، ففعل.

وجها إبطال الشبهة:

١ –الأنبياء كلهم مبلغون عن الله رسالته، متآخون متناصحون وما قاله موسى لمحمد عليهما السلام كان من قبيل التناصح لا من باب الوصاية.

٢ –محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء جميعا، وقد أخذ الله الميثاق على النبيين لئن بعث وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، فلو أدرك موسى زمن محمد عليهما الصلاة والسلام لما وسعه إلا اتباعه.

أولا. ما كان بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ليلة الإسراء والمعراج كان من قبيل التناصح لا من باب الوصاية:

قبل كل شيء لا بد أن نوضح أن دين الأنبياء جميعا واحد، وهو الإسلام، وأن العلاقة بين رسل الله قائمة على التآخي والتناصح فكلهم مبلغون عن الله رسالته، وهي علاقة قائمة على أساس التأكيد والتتميم، وهذا ما أبرزه النبي في قوله: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»([2]).

لذا نجد أن طريق الأنبياء واحد، وهدفهم واحد، وهو تبليغ رسالة ربهم إلى الناس، وقد جعل الله تعالى من ديدن الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به، قال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} [آل عمران:٨١].

قال ابن عباس: "لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه"([3]) ولقد ضرب لنا النبي مثلا يؤكد على علاقة الأخوة القائمة بين الأنبياء جميعا في قوله صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»([4])

وانطلاقا مما سبق نستطيع أن نفسد حديث المراجعة الذي دار بين النبي وبين موسى ليلة الإسراء والمعراج، والذي يتخذه بعض المتوهمين دليلا على وصاية موسى على محمد صلى الله عليهما وسلم وعلى أمته، ولكي تظهر الحقيقة جلية لا بد أن نذكر نص هذا الحديث كما روته كتب السنة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «.. ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت إلى موسى فوضع عني

---

[1] –المستشرقون والقرآن، د. إسماعيل سالم عبد العال، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

[2] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، (٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (٦١٠١).

[3] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر محمد السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٥٤.

[4] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: (٣٢٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٦٢٨١).

عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»([1]).

إن المتأمل لهذا الجزء من حديث الإسراء والمعراج، لا يجد ما يدعيه هؤلاء من أن موسى جعل من نفسه وصيا على محمد وأمته، وإنما يشير هذا الحديث إلى نصح موسى للنبي بحكم خبرته وتجربته مع بني إسرائيل ومعالجتهم، فأشفق على أمة محمد رحمة بهم في أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل، قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في تعليقه على هذا الحديث: والظاهر من السياق أن الذي حمل موسى على ما ذكر من طلب تكرار المراجعة هو رحمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم والشفقة عليهم، فجزاه الله خيرا".

ويقول القرطبي: الحكمة في تخصيص موسى عليه السلام بمراجعة النبي في أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك، ويشير إلى ذلك قول موسى في الحديث السابق: "وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة"، وذكر السهيلي: أن الحكمة في ذلك أنه كان رأى في مناجاته صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فدعا الله أن يجعله منهم، فكان إشفاقه عليهم كعناية من هو منهم([2]).

إذن فالأمر لم يكن أمر وصاية من موسى على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما يتخيل هؤلاء، بل هي الرحمة التي جعلها الله في قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم، فخشي أن تقع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيما وقعت فيه أمته من التقصير في أداء حقوق الله تعالى، فنصح النبي أن يسأل ربه التخفيف، ولا شك أن هذا يدل على ما سبق أن ذكرناه من أن طريق الأنبياء واحد وغايتهم واحدة وهي الدعوة إلى الله، فلا عصبية لأمة ولا لجنس ولكن عصبية الأنبياء لا تكون إلا لله تعالى، وهو يدل أيضا على علاقة الأخوة بين الأنبياء جميعا، هذه العلاقة القائمة على الحب والتناصح لا التباغض والحسد وفرض الإرادة والوصاية كما يزعمون.

ثانيا. محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء جميعا، ولو أدرك موسى عليه السلام زمنه صلى الله عليه وسلم لما وسعه إلا اتباعه:

لقد أمر الله تعالى المسلمين في القرآن الكريم بالإيمان بكل الرسل وعدم التفريق بينهم: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} [البقرة:٢٨٥]، والتفريق المنهي عنه في الآية الكريمة هو التفريق في أصل النبوة لا في ذات الأنبياء؛ لأن منازل الأنبياء متفاوتة وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم} [البقرة: ٢٥٣].

والمتأمل في فضائل الأنبياء الكرام، وقصصهم مع أقوامهم، كما ذكرها القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أنه لا خلاف أن أولي العزم من الرسل هم أفضل من غيرهم من الرسل وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله

[1] -أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣٦٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (٤٣٤)، واللفظ للبخاري.
[2] -أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج، د. سعد المرصفي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٧٣: ٧٥ بتصرف.

وسلامه عليهم ولا خلاف أيضا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منهم جميعا قال سبحانه وتعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا} [الأحزاب:٧] فبدأ في هذه الآية بمحمد صلى الله عليه وسلم الخاتم؛ لشرفه وكرمه وفضله عند ربه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم([1]).

وقد خص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بست لم يعطها أحدا من الأنبياء قبله؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»([2]) والمتأمل في الفضيلة السادسة التي أعطيها النبي وهي كونه خاتم الأنبياء يجد أن المعنى هو: أن الله لا يبعث رسولا من بعده يغير شرعه، ويبطل شيئا من دينه([3]).

مما سبق نستطيع أن نقرر أن الله قد فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء، وجعل شريعته مهيمنة على سائر شرائعهم الأنبياء، بل لقد أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء والرسل إن هم أدركوا زمن محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه كما سبق أن أشرنا، ومن ثم فإنه من العجيب حقا أن يتوهم بعضهم أن موسى وصي على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته، والحق الذي لا مراء فيه أن موسى عليه السلام لو أدرك زمن محمد لما وسعه إلا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»([4])، وكذلك روي عن عمر بن الخطاب أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أمرت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله قال عبد الله راوي الحديث فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، قال: فسري عن النبي ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»([5])

فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر، لكان هو الواجب طاعته، المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس([6])، ولا عجب في هذا، فلقد جمعت شريعته الخاتمة محاسن الرسالات السابقة، وفاقتها كمالا وجلالا، وهذا ما أشار إليه القرآن في غير موضع كقوله سبحانه وتعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء} [النحل:٨٩]، وقوله سبحانه وتعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} [الأنعام: ٣٨].

وعليه فإن من الخطأ البيّن أن يوصف طلب موسى من محمد صلى الله عليه وسلم مراجعة ربه في عدد الصلوات وسؤاله له التخفيف بالوصاية؛ لأن الأمر لا يعدو كما قررنا أن يكون نصيحة من نبي لأخيه، إشفاقا منه على أمته ورحمة وضعها الله في قلبه.

---

[1] –محمد . صلى الله عليه وسلم . خير البشر وأمته خير الأمم، محمد أحمد محمد، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٨٨، ٨٩

[2] –أخرجه مسلم في صحيحه، أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١١٩٥).

[3] –الرسل والرسالات، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢١٨، ٢١٩ بتصرف.

[4] –حسن: أخرجه أحمد في مسنده، (١٤٦٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٩٩) برقم (١٧٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

[5] –حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث عبد الله بن ثابت رضى الله عنه (١٥٩٠٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

[6] –محمد . صلى الله عليه وسلم . خير البشر وأمته خير الأمم، محمد أحمد محمد، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٩٠، ٩١ بتصرف

تاسعا: الزعم أن طلب النبي تخفيف عدد الصلوات عن المسلمين يثبت عدم إدراكه لمقاصد الصلاة([1])

يزعم بعض المتوهمين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدرك المقصد الأسمى من الصلاة؛ لأنه لو كان كذلك لما راجع ربه في عدد الصلوات المفروضة، ولما سأله التخفيف فيها، ويتساءلون: هل يجوز لنبي أن يطلب التخفيف من فريضة، إلا لأنه لم يدرك عظمة هذه الفريضة؟!! ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وجوه إبطال الشبهة:

١ –مقاصد الصلاة في الشرائع السماوية معلومة ومعروفة، فكيف لا يدركها محمد صلى الله عليه وسلم؟

- فمقاصد الصلاة في اليهودية الدعاء والتوسل.
- ومقاصد الصلاة في النصرانية الطهارة والرفعة والحط من الأوزار وطرد كيد الأعداء.
- ومقاصد الصلاة في الإسلام دوام ذكر الله والاتصال به وتمام طاعته والاستسلام له، وهي تهذب الروح وتنير القلب وتقوي الجسد.

٢ –سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه التخفيف لا ينافي مقاصد الصلاة، فالصلوات الخمس تؤدي المقاصد نفسها وتحقق المرجو دون خلل، وإذا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم عظمة الصلاة وهي التي قال عنها: إنها عماد الدين، وقرة عينه، فمن إذا يدرك قيمة العبادة إذا كان المبلغ لها لا يدرك قيمتها؟

٣ –طلب النبي التخفيف كان من التقدير الكوني والرحمة الإلهية؛ فهي خمس في الأداء وخمسون في الجزاء.

٤ –النبي هو الذي بيّن عظمة فريضة الصلاة وفضلها، حتى جعلها الخط الفصل بين الإيمان والكفر، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»([2]) فكيف يفترى عليه أنه لا يدرك قيمتها؟ ومن علمنا مكانتها ومقاصدها إلا عن طريقه صلى الله عليه وسلم؟

أولا. مقاصد الصلاة في الشرائع السماوية:

مقاصد الصلاة في الشريعة اليهودية:

١ –الدعاء: كانت الصلاة هي الدعاء باسم الرب، فقد جاء في العهد القديم: "ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش، حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب". (التكوين ٤: ٢٦). وعن إبراهيم عليه السلام: "ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقى بيت إيل، ونصب خيمته، وله بيت إيل من المغرب وعأي من المشرق، فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب". (التكوين ١٢: ٨). وكانت تتميز بالتوجه مباشرة لله، وهي تعني الدعاء والتوجه إلى الله بالطلب.

٢ –التوسل: ولذلك صلى هارون عليه السلام وصلى صموئيل الذي قال للشعب: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم، بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم". (صموئيل الأول١٢: ٢٣)، ولذلك اعتبر اليهود الصلاة وسيلة للتقرب إلى الله، والالتجاء والإنابة إليه واستحضار الله عز وجل والقرب منه.

مقاصد الصلاة في الشريعة النصرانية:

إن مقاصد الصلاة في النصرانية لا تختلف عن اليهودية كثيرا؛ فهي عندهم باب للطهارة والرفعة، والحط من الأوزار، وطرد كيد الأعداء، والعطاء من فضل الله، والفيض من خيره، والمغفرة من الذنوب، وهذا واضح من خلال نصوص

[1] –هل القرآن معصوم؟ عبد الله عبد الفادي، موقع إسلاميات. www.Islameyat.com

[2] –أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٢٥٧).

الكتاب المقدس: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد". (متى ٦: ١٢، ١٣). والصلاة كذلك لإخراج الأرواح النجسة من بني آدم: "ولما دخل بيتا سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه، فقال لهم: هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم". (مرقس ٩: ٢٨، ٢٩)، وعلى ذلك فالصلاة عند النصارى أذكار وتراتيل، وصلة بينهم وبين إلههم ورجوع إليه، واعتماد عليه بالصلاة في كل حال من أحوالهم، حتى إن "بوليفاريوس من سميرنا أحد المعلمين الرسوليين في تاريخ الكنيسة، عندما اعتقل وحكم عليه بالموت حرقا، طلب منحه ساعة واحدة، يمكنه بها الصلاة بحرية" ([1]).

مقاصد الصلاة في الإسلام:

والصلاة في الإسلام عبادة تحقق دوام ذكر الله، ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله والتجرد له وحده بلا شريك، وتربي النفس وتهذب الروح وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتعلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق، فهي عمل من صميم التدين، ولذلك كانت سنة مطردة على تعاقب الرسل بعد التوحيد، بها تتوثق أسباب الاتصال بالله، ويتزود العبد من خلالها بطاقة روحية تعينه على مشقة التكليف.

فرضها الله على المسلمين للثناء عليه بما يستحقه، وليذكرهم بأوامره وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، فيها يقف الإنسان بين يدي ربه في خشوع وخضوع، مستشعرا بقلبه عظمة المعبود، مع الحب والخوف من جمال وجلال المعبود، طامعا فيما عنده من الخير، وراغبا في كشف الضر، وجلا من عقابه الشديد" ([2])، ومن خلال هذا البيان يتضح لنا أن مقاصد الصلاة في جميع الأديان السماوية تكاد تكون واحدة، فهي تعني: التوجه إلى المعبود في أوقات الفرح والحزن، الفرج والشدة، السراء والضراء، للشكر أو طلب الصبر، وهو ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا بين كل من يعرف له معبود ([3]).

ثانيا. هل سؤال النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف ينافي مقاصد الصلاة؟!

إن الإجابة عن هذا السؤال يرد على شبهتهم تلك، فها هي الصلاة قد أدت مقاصدها رغم تخفيفها، وما كان تخفيفها إلا للتيسير على الناس حتى يطيقوا ويستطيعوا أن يحققوا أهدافها فيهم، لقد أدت الصلاة مهمتها ولا تزال تؤديها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ما دام هناك من يقول "لا إله إلا الله" بصدق وإخلاص، ويتبع سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتجرد واندفاع.

لقد جعلت الصلاة من المؤمنين الراكعين الساجدين أناسا يمتازون عن غيرهم سموا وخلقا، قوية أجسامهم، نظيفة أبدانهم، قليلة أمراضهم، نقية سرائرهم، طيبة نفوسهم، سوية أفكارهم، بعيدة عن الفحشاء والمنكر جوارحهم، لقد عم خير الصلاة حتى شمل كل عضو من أعضاء جسم المسلم، وكل خلية من خلاياه، فأصبحت هذه الخلايا تعمل وتنفذ ما خلقها الله من أجله بكل دقة وبراعة، فأصلحت وروضت، ونمت كل أقسام البدن ومتاهاته. بحيث لم يبق مجال للتباطؤ والخمول، ولا مكان للكسل أو التعطيل.. فكل الجزئيات تعمل، وكل الأجهزة تنتج إنتاجا جادا بناء منظما.

---

[1] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١١ وما بعدها.

[2] –الصلاة، عبد الله بن محمد الطيار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٨، ١٩.

[3] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٢٩.

ولا تحسب أن الصلاة تهتم بالجانب الروحي فقط، بل إنها تهتم أيضا بالجانب الجسدي للإنسان؛ وذلك لأنها رياضة جسدية تجعل من جسم المصلي جسما أقوى من أجسام أترابه، حتى يكاد أن يكون نموذجا بإمكاناته ومعطياته، وذلك من خلال رياضتها الجسدية، وأيضا فإنها تدعوه إلى النشاط، وعدم الكسل فتجعله يستيقظ مبكرا.

ثم إنها تحثه على النظافة، وتلك أيضا حماية لجسده من الأمراض، وكما يقولون فإن الوقاية خير من العلاج.

وإذا بحثت فيما فعلته الصلاة وتفعله في نفسية المسلم وشخصيته، وفي فكره وسلوكه، وفي إرادته وذكائه، وفي استقامته وأخلاقه، فهي سر انخفاض نسبة الأمراض النفسية والعقلية عند المسلمين، والمتعمق في مجريات الأحداث وخصائص الشعوب يلاحظ بلا شك سلامة المسلمين نسبة إلى بقية الشعوب نفسيا وفكريا وعاطفيا وعصبيا من كثير من الأمراض النفسية، والشذوذ الخلقي، والخيالات المريضة المدمرة.

ذلك أن الصلاة: ([1])

- فتحت أبواب الإيمان على مصراعيه في نفس المؤمن وقلبه وفكره وجوارحه.
- أمنت الصلة الدائمة بين العبد وربه.
- هيأت كل أشكال وسبل ذكر الله – عز وجل – وعلى رأس الأذكار قراءة القرآن، وجعلت جسم المسلم نظيفا قويا، سليما معافى من أكثر الأمراض.
- وجهت سلوك المسلم وزادت من استقامته، فأصبح إنسانا جادا منتجا لا يقول إلا خيرا ولا يتصرف إلا صالحا.
- نقت من ذكائه وزادت في فطنته، وسمت بأفكاره، وقومت تأملاته.
- أزالت سعير الفراغ القاتل، وأبادت جحافل الوقت الضائع.
- جمعت المسلمين في الصلوات الجماعية، وألفت بينهم وجعلتهم كالجسد الواحد.
- عملت في نفسية المسلم كمحطات توليد وتقوية للتيار الإيماني الذي عليه يحيا، ومن أجله ينبض قلبه، فتوليد التيار هو في الصلاة نفسها، وبما فيها من توجه إلى الله ودعاء وتضرع.. وأما التقوية فهي في الصلوات الجماعية، وبخطب الجمع والعيدين، وبصلوات الاستسقاء والكسوف والخسوف، والقنوت ([2]).

فهذه من مقاصد الصلاة وقد تحققت بخمس صلوات، وليس هذا فحسب، بل إن المسلم ليصلي خمس صلوات ويأخذ أجر الخمسين؛ رحمة من عند الله وكرما منه ثم إن المسلم ليتشوق للصلاة بعد هذا التخفيف، ويعبد الله بحب وشوق؛ لأنه يعلم أن هذا التخفيف رحمة من عند الله، قال تعالى: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} [البقرة: ١٨٥]، ولم تنته المقاصد، بل إن الإنسان لعله يخطئ في هذه الفترة بين الصلاتين، فينتظر بشوق ولهفة وقت الصلاة حتى تطفئ هذه النيران.

وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملكا ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم، قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها» ([3]).

---

[1] –وفي الصلاة صحة ووقاية، فارس علوان، دار السلام، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٢، ص٤٢٣ بتصرف.

[2] –وفي الصلاة صحة ووقاية، فارس علوان، دار السلام، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٨.

[3] –أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٧٣) برقم (٩٤٥٢)، وفي المعجم الصغير (٢/ ٢٦٢)، (١١٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٨)، انظر: العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٤، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٢١٣ وما بعدها.

ويصور الرسول لأصحابه بكل وسائل التوضيح عمل الصلاة في محو الخطايا التي تبدر من الإنسان في صباحه ومسائه، فيروي لنا أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن» ([1]) وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك هل يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا. قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا» ([2]).

ولعلنا نتعجب حينما نعلم أنهم بعد هذا كله يتهمون المسلمين بأنهم لم يدركوا مقاصد الصلاة فكيف هذا؟! إن البعد العقدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والصحي، للصلاة في الإسلام، لا يمكن أن تبلغه تلك الصلوات اليهودية والمسيحية التي شابتها عناصر وثنية انحرفت بها عن القدسية، وقطعتها عن مصدرها الإلهي.

إن دقة التشريع الإسلامي في الصلاة وشموله وكماله، في عددها، وأركانها، وسننها، وهيئاتها، فيما يتقدمها ويتأخر عنها من نوافل، وفيما يسبقها من طهارة، ويخلفها من أذكار، وفي تنوع تراكيبها، وفي تناسقها، في روحانياتها، كل هذا يدل على قدسية مصدرها وعظمة المقصود بها، وطهارة من علمها للناس، واقتداء الخلف بعد السلف في أدائها بالمعصوم بحيث لو قام في الناس اليوم لم ينكر منها شيئا.

لقد تراكم على العبادات اليهودية والمسيحية أكوام من العبادات الوثنية والخبرات الشخصية، حتى طمست فيها نور الحق وضياء النبوة، وصارت لا تعدو أن تكون طقوسا بشرية لا روح فيها، ولا قدسية لها.

فالمقصود بالصلاة في اليهودية: إله خاص لشعب خاص، ومن سوى هذا الشعب لا قيمة لهم؛ فهم "أمميون" وكلأ مباح لليهود، يفعلون بهم ما يشاءون، ويمارسون معهم ما يشاءون من سيء الأخلاق والمعاملات، فليس للصلاة في اليهودية بعد عقدي ولا أخلاقي، بل إن الإله عندهم خادم يحقق رغباتهم، وينفي عنهم الإصر (العهد الثقيل) والأغلال.

وفي المسيحية: إله غامض ليس واحدا، ولكنه ثلاثة، وليسوا ثلاثة ولكنهم واحد، وهو لبس لا يمكن أن تتم معه روحانية أو اتصال بين الخالق والمخلوق ([3])، وكل إنسان يرى العالم بعيونه، فهم حينما لم يعرفوا مقصد صلاتهم، وخرجوا منها بلا جدوى ظنوا أن المسلمين كذلك، وهذا زعم فاسد وبالأخص بعد هذا البيان، فهل من متكلم في حق الصلاة في الإسلام بعد ذلك؟!!

ثالثا. طلب النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف كان من التقدير الكوني، والرحمة الإلهية:

"كأن الله أراد أن يشعرنا بالتخفيف الرباني إذ لم يفرض الصلاة خمسا منذ البداية، فهو سبحانه يعلم مسبقا بما سيدور بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما ثم جاء البيان الإلهي المليء بالرحمة والكرم: فهي خمس في الأداء وخمسون في الجزاء" ([4]).

وبهذا يفرح المسلمون ويقبلون على الصلاة بكل حب، بل يشتاقون لموعدها، ويتلهفون لأدائها، وكذلك يعلمون مدى عطف نبيهم عليهم، ورحمة الله بهم، فيزداد إيمانهم، وتقوى عقيدتهم، ويعظم حب الله تعالى في قلوبهم فمن أسمائه : الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم: {حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [التوبة

---

[1] –أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهمن ما اجتنبت الكبائر (٥٧٣).

[2] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (٥٠٥)، ومسلم في صحيحه (١٥٥٤).

[3] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٣٠.

[4] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٩٨.

:١٢٨]، "وموسى عليه السلام صاحب خبرة مع قوم قساة متنصلين من الواجبات، بينما محمد صلى الله عليه وسلم حيي مأخوذ بكلام الله مذعن لحكمه" ([1]).

وهذا كله واضح في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه: «... ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت: قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت، قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال فلما جاوز نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت على عبادي» ([2]).

ومما يدل أيضا على أن الله كان مقدرا لعدد الصلوات ما ورد في رواية البخاري في كتاب التوحيد أنه بعد أن راجع ربه بمشورة موسى وجاء في المراجعة الخامسة أنه قال لربه: «يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وآذانهم، فخفف عنا، فقال الجبار عز وجل: يا محمد، قال: لبيك وسعديك. قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك»([3]). وفى رواية مسلم حتى قال: «يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة»([4]).

رابعا. إدراك النبي لعظمة فريضة الصلاة:

لقد جعل النبي الصلاة هي الدليل الأول على التزام عقد الإيمان، والشعار الفاصل بين المسلم والكافر قال صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»([5]). وقال صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» ([6]).

قال العلماء في توجيه هذا الحديث: فمن شغله عن الصلاة ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف. وتأكيدا لمكانة الصلاة وعلم النبي بمنزلتها فإنه يبين أن «من فاتته صلاة كأنما وتر أهله وماله»([7])، أي أصيب في أهله وماله، وأصبح بعدهم وترا فردا، فإذا كانت هذه كارثة من فاته صلاة في الإسلام؟[8] فكيف يدعون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك عظمتها؟! هل يقول كل هذا الكلام عن فضل لم يدركه؟!! فأي عقول هذه التي تفكر هذا التفكير؟! ولكن: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج:٤٦].

---

[1] -هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٩٧ بتصرف.

[2] -أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٧٤)، شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٣٥

[3] -أخرجه البخاري في صحيحه(٧٠٧٩)، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٩٣.

[4] -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى السماوات وفرض الصلوات (٤٢٩).

[5] -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٢٥٦).

[6] -صحيح: أخرجه أحمد في مسنده(٢٢٩٨٧)، والترمذي في سننه، كتاب الإيمان(٢٦٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٦٤)

[7] -أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٠٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (٧٤٣٠).

[8] -العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٤، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٢٣.

ونقول لأصحاب هذه الشبهة: أخبرونا كيف لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم عظمة الصلاة، وهو الذي كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه؟!! فهل هذا الفعل يكون من إنسان غير مدرك لعظمة الصلاة؟

إذن فما الذي دفعه إلى فعله هذا إلا علمه التام وإدراكه لعظمتها؟! "فقد «سأل ابن عمر أم المؤمنين عائشة فقال: أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله فبكت وقالت: كل أمره كان عجبا.. أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: "ذريني أتعبد لربي عز وجل. قلت: والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته، ثم سجد فبكي حتى بل الأرض...» ([1]).

وما هذا إلا لأن الصلاة كانت قرة عين النبي قال صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»([2]).

وأخرج الشيخان وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال: «صلى رسول الله حتى انتفخت قدماه»([3]). أي من كثرة صلاة الليل، فأنزل الله عليه من القرآن ما خفف به عليه وعلى من تبعه، وهو قوله: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل} [المزمل: ٢٠]، وقوله تعالى: {طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى} ([4]).

"هذه هي الصلاة التي كانت قرة عينه صلى الله عليه وسلم والتي كان يحن إليها ويتلهف عليها ويقول لبلال: «أرحنا بها!»([5]). هذه هي صلاة الأنس والحب([6])، ولذلك كانت آخر وصايا الرسول وهو في سكرات الموت، تحض على الصلاة "فعن أنس بن مالك قال: كانت عامة وصية رسول الله حين حضره الموت: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم. حتى جعل رسول الله يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه» ([7])

فها هو النبي في حياته إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة، يطلب فيها الراحة "أرحنا بها يا بلال". وها هو عند الاحتضار يوصي بالصلاة، مؤكدا أنها أهم شيء، وإلا لما وصى بها، فكيف يقول قائل بعد هذا كله إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك أهمية الصلاة؟!!

الخلاصة:

إن مقاصد الصلاة في الشرائع السماوية تكاد تكون واحدة، فهي في اليهودية بمعنى الدعاء والتوسل، وفي النصرانية أذكار وتراتيل، وصلة بينهم وبين إلههم، وفي الإسلام هي تمام الطاعة والاستسلام لله، والتجرد له وحده بلا شريك له، فمقاصد الصلاة في هذه الشرائع مشتركة في أنها "تعني التوجه إلى المعبود في أوقات الفرح والحزن، والفرج والشدة، والسراء والضراء، للشكر أو طلب الصبر، وهو ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا بين كل من لم يعرف له معبود" ([8]).

وهذه المقاصد قد حققتها الصلاة الإسلامية رغم تخفيفها، فلم يكن تخفيف الصلاة عائقا حيال تأدية الصلاة مقاصدها، بل إن الصلاة أدت مهمتها ولا تزال تؤديها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لقد جعلت الصلاة من المؤمنين الراكعين الساجدين أناسا يمتازون عن غيرهم سموا وخلقا، فكرا، وقوة وعزما، روحا ونفسا.

---

[1] –صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٦٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٨)، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي حنان اللحام، ص٤٤٩.

[2] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣١٥)، والنسائي في المجتبى، كتاب عشرة النساء، (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

[3] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (٦١٠٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة (٧٣٠٢).

[4] –شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٥٧.

[5] –أخرجه أحمد في مسنده، (٢٣١٣٧)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة (٤٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

[6] –العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٤، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٢٥.

[7] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٩٠)، وابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦٩٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٧٨)، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٧٤٧.

[8] –شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٢٩.

ثم إن طلب النبي التخفيف كان من التقدير الكوني، والرحمة الإلهية، كأن الله عز وجل أراد أن يشعرنا بالتخفيف الرباني؛ إذ لم يفرض الصلاة خمسا منذ البداية، فهو سبحانه يعلم مسبقا بما سيدور بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما ثم جاء البيان الإلهي المليء بالرحمة والكرم، فهي خمس في الأداء وخمسون في الجزاء" ([1]).

النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بين معنى الصلاة وأفضليتها حيث جعلها الشعار الفاصل بين المسلم والكافر ، فقال صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»([2]). وليس هذا فحسب بل إن النبي كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، يصلي لربه عز وجل. وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، لماذا؟! لأنه يعلم مكانتها بل إن راحته كانت في الصلاة «أرحنا بها يا بلال» ([3]) لماذا؟ لأنها قرة عينه صلى الله عليه وسلم «وجعلت قرة عيني في الصلاة» ([4]). ولذلك فإنها تلازمه حتى عند موته فيوصي بها من بعده، مبينا لهم بلسان الحال والمقال عظمتها، إذ يقول وهو في سكرات الموت: «الصلاة، الصلاة وما ملكت أيمانكم» ([5]) فكيف يفتري المفترون عليه صلى الله عليه وسلم أنه لم يدرك " أفضليتها وقيمتها، بل هم الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ولم يدركوا قيمة الصلاة ولا قيمة النبوة وعظمتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

[1] –هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٩٨.
[2] –أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٢٥٦).
[3] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣١٣٧)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة (٤٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).
[4] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده(١٢٣١٥) والنسائي في المجتبى، كتاب عشرة النساء، (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).
[5] –صحيح: أخرجه أحمد في مسنده(١٢١٩٠)، وابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا، باب أهل أوصى رسول الله (٢٦٩٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٧٨).